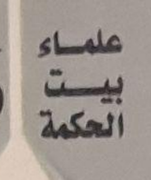




الدكتور صادق الاسود

سيرته وجهوده في علم السياسة

د.حميد مجيد هدو

بغداد٢٠٠٢





علماء بيت الحكمة 6

الدكتور صادق الأسود

سيرته وجهوده في علم السياسة

الدكتور حميد مجيد هدّو

بغداد

٢٠٠٢



عنوان الكتاب : علماء بيت الحكمة / 6

الدكتور صادق الأسود ـ سيرته وجهوده في علم السياسة

أسم المؤلف : الدكتور حميد مجيد هدو

الناشر : بيت الحكمة

الطبعة : الاولى ٢٠٠٢

بيت الحكمة - جمهورية العراق - بغداد - الباب المعظم - ص.ب ٥٣٦٤٠

هاتف : ٤١٤٠٠١٥ - ٤١٤١٢٠١

فاكس : ٨٨٦٣٠١٥



بسم الله الرحمن الرحيم

برعاية القائد صدام حسين

بيت الحكمة
مؤسسة فكرية قومية

العدد : ٢٥٤/١/١
التاريخ : ٢/شعبان/١٤٢٢ هـ
الموافق : ٢٠٠١/١١/١٥ م

قرار

بناءً على ترشيح الفرق الاستشارية للأقسام العلمية في بيت الحكمة، واستناداً إلى موافقة مجلس رؤساء الأقسام، قرر مجلس الأمناء منح جوائز بيت الحكمة في اختصاصات الأقسام العلمية للسنة ٢٠٠١ للذوات المدرجة أسماؤهم في أدناه، اعترافاً بدورهم الكبير ومساهماتهم العلمية المتميزة وتقديراً لجهودهم المستمرة في إغناء الثقافة العربية واستلهام جوهر حضارة الأمة وتراثها بتوظيف إنجازاتهم الثقافية لصالح الأمة ومستقبلها في نضالها الوحدوي التحرري:

١. الأستاذ الدكتور سعدون حمادي	الدراسات الاقتصادية
٢. الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي	الدراسات التاريخية
٣. الأستاذ الدكتور عبد العزيز البسام	الدراسات الفلسفية
٤. الأستاذ الدكتور جميل الملائكة	دراسات الترجمة
٥. الأستاذ ضياء شيت خطاب	الدراسات القانونية
٦. الأستاذ الدكتور صادق الأسود	الدراسات السياسية
٧. الأستاذ الدكتور اكرم نشأت	الدراسات الاجتماعية
٨. الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد	الدراسات الإسلامية

بيت الحكمة في الأربعاء : ٢٩ شعبان ١٤٢٢ هـ
١٤ تشرين الثاني ٢٠٠١ م

رئيس مجلس الأمناء



الدكتور صادق الاسود

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل:

درج كل اولئك الذين يكتبون عن الأفذاذ على أن يبحثوا عن الحقيقة، وذلك أمر لا تبدو فيه الغرابة. ولكن الغرابة تتجسد حينما تبحث الحقيقة عن واحد من أولئك الأفذاذ الذين غاصوا في أغوارها بتواضع العلماء الذين تمثّل فيهم معالم الحقيقة فيتخفون من إعلانها والإعلام بها تواضعا واستصغارا، لما تتطيع به شخصياتهم المستحقة للاشادة والاشهار. إنها صفة العلماء الذين يرون في العلم شاخصا أعلى منهم، انهم لا يفتأون متعلمين ومعلمين ولا نجد بنا حاجة إلى أن نضرب أمثلة من التاريخ على نماذج لهم فهم كُثر وربما كان من نتصدى اليوم للكتابة عنه واحداً منهم... إنه الاستاذ الدكتور صادق جعفر الاسود -رحمه الله-.

رجلٌ حثّ الخطى على طريق علم السياسة فكان لهذا العلم النصيب الأوفر من تطلعاته أولا ومن أبحاثة ثانيا ومن استنتاجاته أخيراً، حتى لقد عدّ بحق أول عراقي رفع لواء البحث في علم الاجتماع السياسي الذي انضوت تحت مظلته كل التفريعات التي تعد مرسومة في إطار هذا العلم.

لقد ارتاد الميدان بشغف العالم الدؤوب ودرج على الحلبة بمثابرة المجتهد الواصل، فهو بحق مجتهد في محراب علمه لا يفتأ يستقرىء ويستنتج وينظر ويمنهج حتى أكتسب صفة الريادة التي أهلته لترشيح بيت الحكمة لأن يكون من المكرّمين ضمن مجموعة العلماء المعاصرين في حقل اختصاصه.

لقد حفظت ذاكرة تاريخ علم السياسة ومنهجيتها له فضل قصب السبق في إشخاص هذا العلم على صعيد التعليم الجامعي في العراق والوطن العربي. فميدان علم النفس السياسي هو من الميادين التي تعرض لها متفردا بتفصيلات لا نجدها لدى من تعرّض لميادين علم النفس أمثال: "جيليفورد"

الذي توسع في الحديث عنها في كتابه (ميادين علم النفس) بجزأيه حيث لا تجد فيه حديثا مستقلا عما أفاض فيه الدكتور صادق الأسود من بحث عن هذا الميدان الذي يطابق معطيات التطور في البحث النفسي السياسي.

وربما كان تطور علم السياسة خلال ثلاثة عقود (١٩٥٠-١٩٨٠) والذي فرضته معطيات التحديث السياسي في الوطن العربي والعالم، ذات أثر كبير في تحفيزه على استقطاب متعلقات هذا الجانب والبروز فيه واستثماره من أجل جمع شمل أمور ظلت مستقرأة أستقراء عسيرا. ذلك هو الجهد الذي استحق الدكتور صادق الاسود ان يكون فيه من بين المبدعين المكرمين الذين قد اوغلوا في الابداع حتى عدّوا مدرسة له.

لم أجد صعوبة في لمّ شتات ما أردت جمعه عنه، فقد كان -رحمه الله- واضحا كل الوضوح، تحدثتْ عنه آثاره العلمية قبل أن يتحدث عنه مخالطوه من أصدقاء وزملاء وتلامذة بل قبل ان يحدثني هو عن نفسه، وحينما أذكر -الصعوبة- فأنني لا أعني بها صعوبة التوثيق أو الترتيب أو التفصيل، فتلك أمور لا بد فيها من صعوبة، ولكن الذي أعنيه هو رسم الصورة الحقيقية الخالية من الرتوش. وهكذا كان حتى خرج هذا الجهد المتواضع الذي أبرُّ به بوعد قطعته لبيت الحكمة عندما شرفني السيد رئيس مجلس أمنائه بتكليفي تنفيذه. وكم كنت ارجو أن يطلّع المرحوم الدكتور صادق عليه لتكتحل عيناه بما كان يتمناه قبل رحيله، وليت الرياح جرت بما تشتهي السفن. والله من وراء القصد.

الفصل الأول

محطات السيرة

البيئة:

في الضاحية الشرقية لمدينة السلام بغداد تطالع الشمس في مشرقها بقعة قديمة العمران كانت تسمى ايام طفولة بغداد (كلواذى)، ثم عرفت ومنذ القرن السادس عشر تقريبا بمنطقة (الكرادة) نسبة الى (الكرود) التي كانت واسطة لرفع الماء من دجلة من أجل سقي البساتين.

الى هذه البقعة الغنّاء انتقل الجد الثالث للدكتور صادق وهو الشيخ حسين يوم كانت المنطقة لا ترى فيها غير البساتين والمزارع، وطبيعي ان تمتهن الاسرة الزراعة، فتملكت الكثير من البساتين في عدة مواقع من الكرادة الشرقية. وحين احتل الانكليز بغداد عام ١٩١٧ كانت هذه المنطقة والتي سميت بـ(الكرادة الشرقية) قرية صغيرة فيها بضعة قصور لاثرياء بغداد الى جانب دور للمزارعين مبني معظمها بالطين ومسقّف بجذوع النخيل.

وقد قسمت الى قطع سكنية في الثلث الأول من القرن العشرين فسميت ببستان العطار، وشارع النقيب، وشارع أسود. كانت بيوت (أسود) تقع على امتداد نهر دجلة ضمن درب الشط الذي أطلق عليه في ما بعد منطقة شارع ابي نواس والذي كان ضمن السدة الترابية الممتدة بمحاذاة النهر لتقي المنطقة من الغرق في اثناء الفيضان. وقد نصت وثائق التسجيل أن آل النقيب قد ابتاعوا بستانا من بيت أسود وهو ذلك البستان الذي كان يمتد من النهر الى ما يقابل المنطقة المسماة بـ(الهندية). وقد تحول البستان في ما بعد الى عدد من الدور. وبقي بيت اسود في البستان الاخرى المجاورة لبيت النقيب والتي قسمت الى قطع سكنية في اواسط الاربعينات من القرن الماضي وسمي الشارع بـ(شارع أسود).

ويذكر مؤرخ الكرادة الشرقية السيد شاكر جابر انه كان لبيت (أسود) كرد يسقي تلك البستان وقد نصبوا بدلا منه مضخة ميكانيكية في

مطلع القرن العشرين. وحين نصب الانكليز معسكرا لهم في أرض الوقـف (الهندية) كان بستان اسود قبالتهم، فنزلوا فيها وعبثوا بالاشـجار ونصبـوا لهم فيه مكانا لذبح الاغنام والابقار فقـاومهم بـيت اسـود فكان نصيبـهم التهجير وتهديم دورهم مما اضطرهم الى الابتعاد بسكنهم الى منطقة أبـعد، غير أنهم ما لبثوا أن عادوا الى مناطق سكناهم السابقـة بـعد اعلان الحـكم الملكي في العراق فبنوا بيوتا لهم من الطين بجهود عبد الكريم خليل الاسـود عم المترجم له.

الجـذور:

تلك هي البيئة التي احتضنت اسرة بيت أسود حقبة ممتدة من التاريخ الحديث في بغداد... تلك الاسرة العربية التي تنتسب الى قبـيلة خزاعة التي يسميها العامة من الناس بـ(الخزاعل) وهي قبيلة قحطانية معروفة سـكنت اواسط العراق منذ القرن الاول الهجرة أو ما قبله بقـليل وعلى أيديهم بـنيت مدينة الديوانية الحالية مركز محافظة القادسية وانتقلوا اليها بتقاليدهم العربية الخالصة من كرم وشجاعة ونخوة وحـماية للجار، وقـد كانت لهم سـلطة في الفرات الاوسط.

ذكر الحاج وداي العطية في كتابه (تاريخ الديوانية) : إن هذه المدينة كانت عند أول انشائها تضاف الى خزاعة فيقـال (ديوانية خزاعة) ثم جردت عن الاضافة لشيوع اسمها (تاريخ الديوانية ص ٢١).

نزحت الاسرة من الديوانية الى النجف نتيجة حادثة وظرف خاص اضطرهم الى النزوح عن منطقتهم، وقد استقـروا في النجف وتكاثر عددهم ولكنهم غادروها بعد ذلك الى بغداد فسكنوا منطقة الكسـرة وقـد تملك فيها الشيخ حسين الجد الثالث للمترجم له بستانا وراح يستثمر تلك البسـتان ومعه افراد اسرته. ظل هكذا مدة من الزمن حتى انتقل هو وانتقلت معه الاسرة الى محلة (القشل) إحدى محلات الرصافة، وكان ذلك في القرن التاسع عشـر.

ثم ما لبث ان انتقل ابـــر اهيم الملقـــب بـــ(الاســـود) الى الكرادة ليعمل ملاكا ومزارعا في ارض زراعية اقتناها بالتملك.

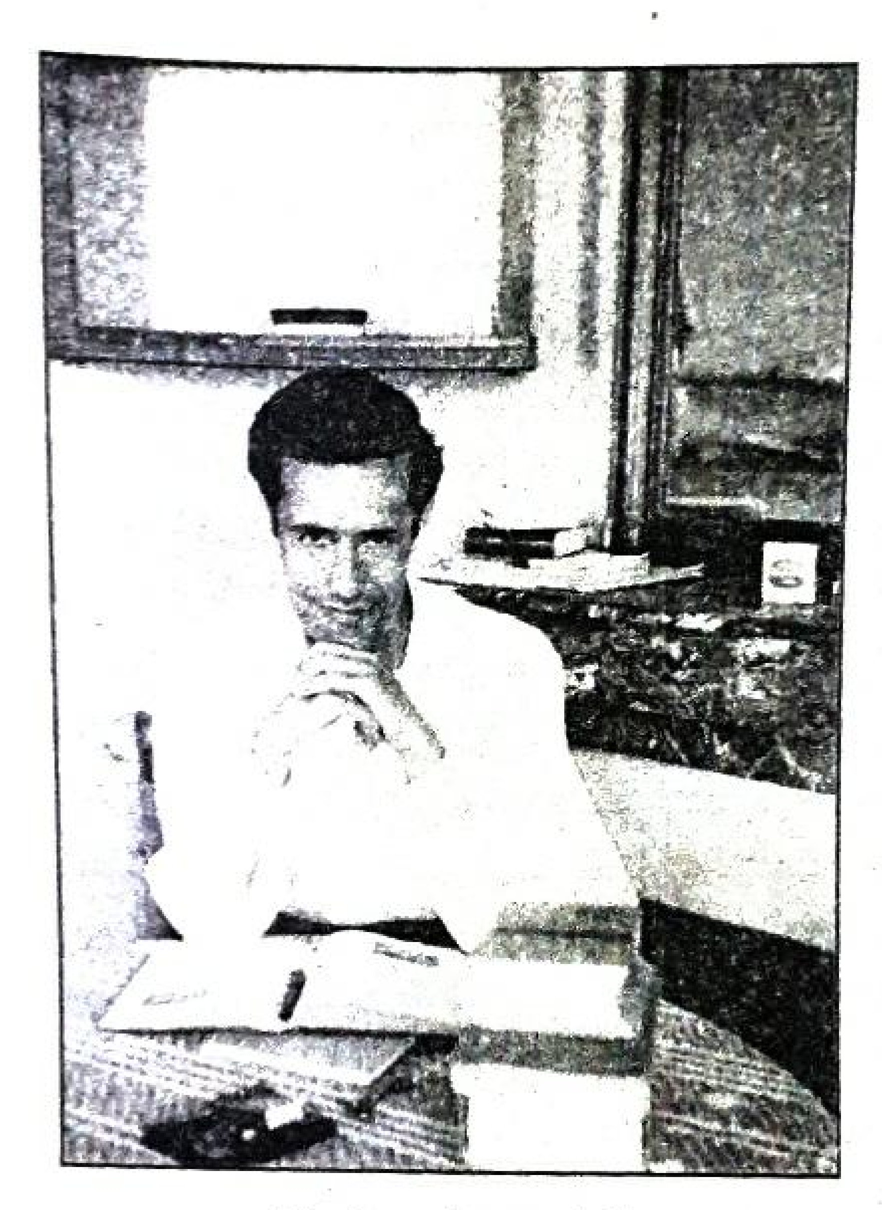
النشأة:

ذلك هو الجو البـيئي الذي شـــاء الله ان يختاره مولدا ومترعرعا للدكتور صادق بن جعفر بن اسماعيل بن ابـــراهيم الاســـود في يوم من ايام عام ١٩٢٨ في الكرادة الشرقية في بغداد.

عاش طفولته بين احضان والدين محافظين متدينين حتى آن الاوان لان يلتحق بالتعليم الابتدائي فسجّل في مدرسة الكرادة الشرقية الابتدائية في (ارخيته) عام ١٩٣٥ وليكملها عام ١٩٤١ ويلتحق بعدها بالمتوسطة الشرقية في الكرادة فيتخرج فيها عام ١٩٤٤ وكان من زملائه (نزار صادق الملائكة) أخو الشاعرة (نازك الملائكة) والسيد (شاكر جابر البغدادي) النسّابة والمربي (حسام مهدي عباس) وغيرهم ممن غابوا عن ذهن المترجم له.

وفي عام ١٩٤٧ تخرج في الثانوية المركزية في الرصافة لينتمـــي الى كلية الحقوق في بغداد والتي تخرج فيها بشهادة "ليســـانس قـــانون" عام ١٩٥٢، وإذا توقفنا عند نشاطه الادبي في هذه المرحـــلة من حـــياته تطالعنا ترجمته لقصة قصيرة لـــ"أرنست همنغواي" ونشـــرها في صحـــيفة البـــلاد البغدادية بأسم أخيه (صبيح الاسود)، وقد تبعته انشـــطة اخرى. كما ذكر عنه انه كان رساما وخطاطا هواية لا احترافا.

في كلية الحقوق كان له نشاط سياسي وطني شارك فيه بـــتظاهرات الوثبة ضد معاهدة "بورت سموث"، وفي عام ١٩٥٢ فصل من الكلية وهو في السنة الاخيرة لمشاركته زملاءه في التظاهرات الطلابية ضد السلطة الحاكمة آنذاك وزج به في التوقيف في مديرية التحقيقات الجنائية ثم أطلق سراحه في ما بعد بكفالة.



الطالب في باريس ١٩٥٧

وفي عام ١٩٥٣ اعتقل بتهمة مناهضة الحكومة آنذاك وزج بـــه في معتقل أبي غريب، وكان وقتها موظفا حكوميا في دائرة البريد والبرق والتي كان قد عُيّنَ فيها منذ العام ١٩٤٧ أي بعد تخرجه في الثانوية.

ترك الوظيفة عام ١٩٥٦ ليسافر الى فرنسا متمتعا بإجازة دراســية من وزارة المواصلات أمدها سنتان للحصول على شهادة عليا.

في فرنسا:

حط الرحال عام ١٩٥٦ في باريس ليبدأ رحلة التحـــصيل العالي، وبعد أن أتقن اللغة الفرنسية نال شهادة دبلوم في القـــانون وأخرى في العلوم السياسية عام ١٩٥٩ وبقي في باريس حتى عام ١٩٦٠ حـــيث عاد الى وطنه صيف ذلك العام.

عبثا حاول الحـــصول على اجازة دراســية أخرى ليواصل بـــها تحصيله لنيل شهادة الدكتوراه مما اضطره الى الســـفر على نفقـــته الخاصة لتحقيق أمنيته التي اكتحلت بها عينه عام ١٩٦٨ بنيل شـــهادة "دكتوراه دولة" في العلوم السياســـية من جامعة "السوربـــون"، وكان عنوان أطروحـــــته بالفرنســـية: الرأي العام العالمي، إذ أُلفت لجنة المناقشـــة من البروفيســـور "روجربنتو" Rogerpinto رئيسا، وعضوية كل من "تشـــارلس روســـيو" Charles Rousseau و"بول رويتر" Paul Reuter . وكان من اساتذته الاقتصادي السياسي الفرنسي المعروف "مسيو ريمون بار" الذي تسنم رئاسة الوزارة الفرنسية في ما بعد.

كوّنت حياته في فرنسا منعطفا حادا في اسلوب تعامله مع الحياة ومع المحيطين به من الطلبة الدارسين في فرنسا فكان يلتقيهم في مقاهي بـــاريس المعروفة يتذاكرون في ما يطرح من أفكار جامعية تخص مشاربـــهم العلمية فيعجبون بـــه طالبـــا متوثبـــا جادا لم تلهه مفاتن بـــاريس التي تغري أمثاله من الشباب.



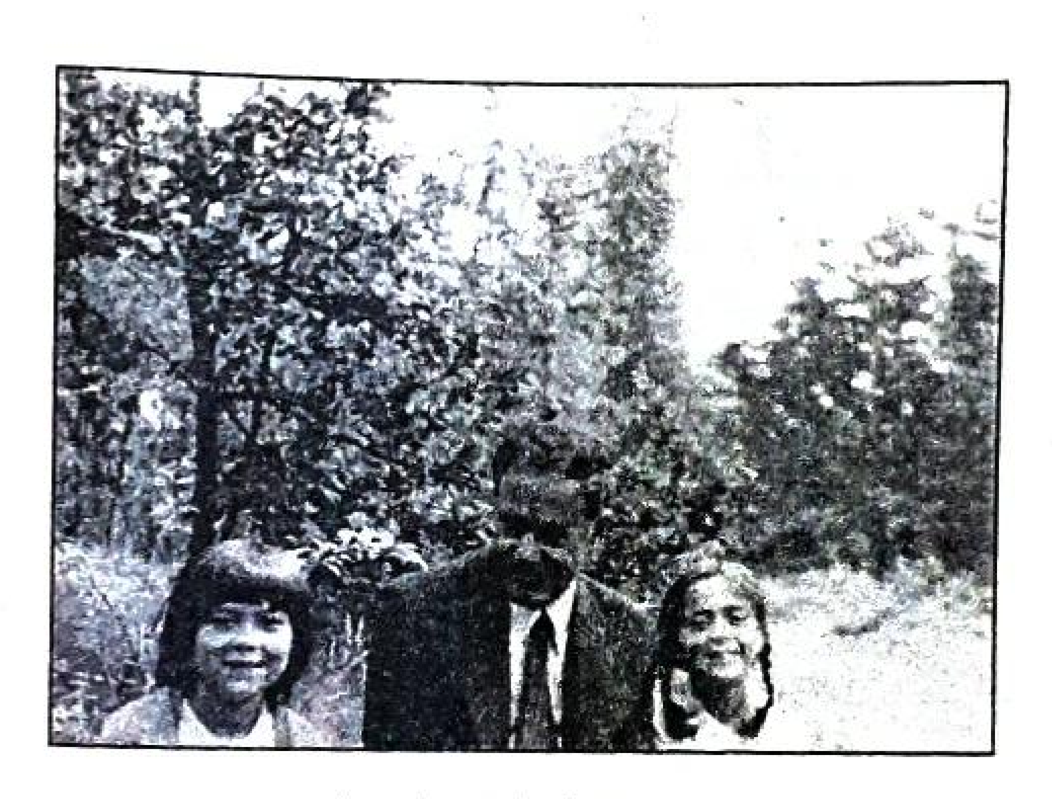
في مقهى الدوبار في باريس مع عدد من الطلاب العراقيين الدارسين في فرنسا ـ كانون الثاني ١٩٥٨

القفص الذهبي:

خلال إقامته في باريس تعرف الى فتاة المانية كانت تدرس الادب الفرنسي في باريس عام ١٩٦٤ وتوطدت العلاقة بينهما فتزوجها و أنجبت له ابنتيه التوأمين (سلمى ولبنى) ولم تكتب لذلك الزواج الديمومة لاكثر من ثلاث سنوات حيث فارقته بصحبة ابنتيه اللتين ظل على اتصال بهما مدة استمرت سنوات لتنقطع الى الابد. كان لذلك اثر عميق في نفسه تمثل في اتجاهين مختلفين أولهما: عشق الطفولة و الحنين الى زمان الصبا وتفجر عواطف الابوة فيه، وثانيهما: احجامه عن التفكير في تكرار التجربة مما نجم عنه ان يقضي عمره من دون شريكة يركن اليها. وقد يكون في الامر سر لا يعلمه الا الله. وبذلك تكون امنيته قد دفنت معه كما دفنت قبلها امنية أخرى لم تتحقق في حياته وهي ان يرتاد عالم الصحافة يوم كان يميل الى افكار حزب الاستقلال وهو بعد طالب في كلية الحقوق فلم يحد عن الخط الوطني والمنهج القومي حتى رحل عن هذه الدنيا.

بعد الرحلة:

عاد الى بغداد بعد اكمال الدراسة في فرنسا عام ١٩٦٨ فعين مدرسا في قسم السياسة في كلية الاقتصاد و العلوم السياسية في جامعة بغداد، ثم في قسم السياسة في كلية القانون والسياسة في الجامعة نفسها. استمر في التدريس حتى عام ١٩٧٠ حيث صدر أمر تعيينه معاونا لعميد كلية القانون والسياسة في جامعة بغداد. استمر في عمله الاداري و التدريسي حتى عام ١٩٧٣. وهو أول من طرح فكرة تسمية كلية للعلوم السياسية بصورة مستقلة، مع طرح تسويغات التسمية، فأصبح أول رئيس لقسم النظم السياسية عام ١٩٨٧، كما رأس قسم الفكر السياسي في الكلية المستحدثة. واستمر في رئاسة قسم الفكر السياسي حتى احالته الى التقاعد عام ١٩٩٣. كما انه درس في قسم السياسة في كلية القانون و السياسة التابع للجامعة المستنصرية،



مع ابنتيه (سلمى و لبنى)
باريس ١٩٦٥

والقى عددا من المحاضرات ولسنوات عديدة في كلية الحرب في جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا، وحصل على لقب مدرس اقدم مدني فيها. كما درّس في معهد البحوث والدراسات العربية العليا التابع للجامعة العربية يوم كانت بغداد مقرا لهذا المعهد العربي، كما انه القى عدداً من المحاضرات في المعهد الدبلوماسي في وزارة الخارجية، وفي مراكز علمية اخرى كانت له محاضرات ومشاركات علمية.

وفي قسم الدراسات العليا في كلية العلوم السياسية ولمرحلتي الماجستير والدكتوراه كان له سهم وافر في تدريس بعض المواد في علم السياسة في المرحلتين المذكورتين. ومنذ تأسيسه حتى عام ١٩٩٣ كانت محاضراته موضع اعجاب الطلبة والاساتذة.

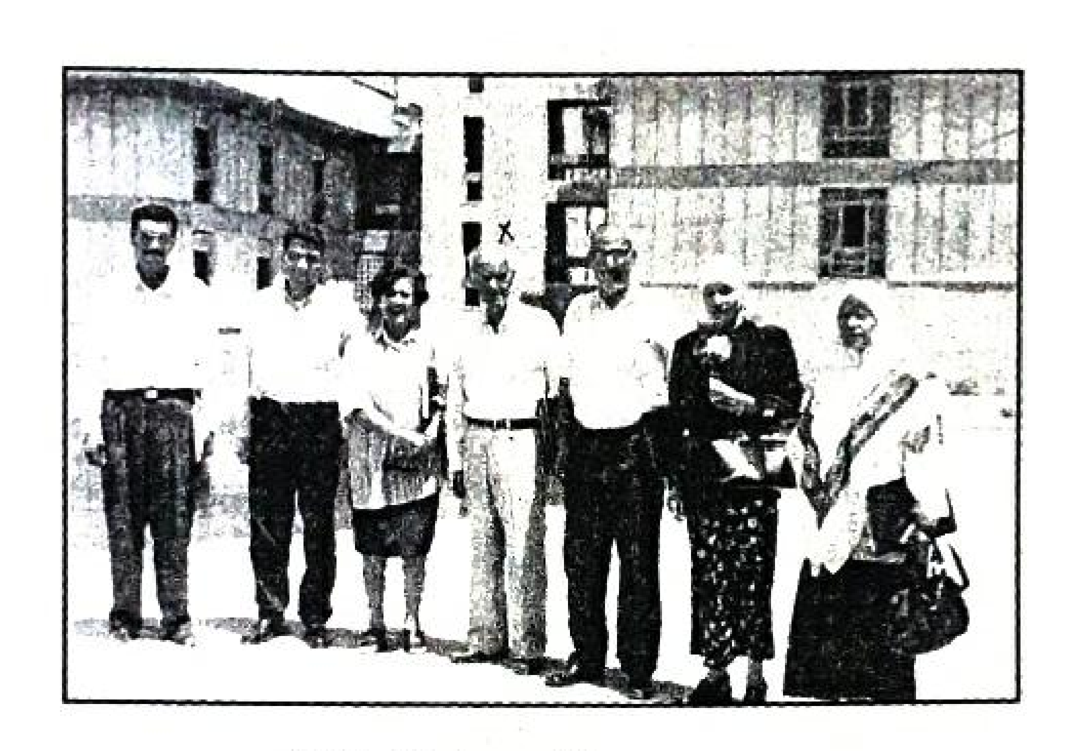
عمل مستشاراً في مكتب السيد نائب رئيس مجلس قيادة الثورة من ٧٢/١٢/٣١ ـ ١٩٧٨/١٢/٣١ ، وأشترك عضواً في اللجنة القانونية المؤلفة في مكتب السيد النائب، وهي اللجنة التي أنيطت بها مهمات قانونية وتشريعية. وعمل ضمن لجنة صياغة قانون الحكم الذاتي مع عدد من الأساتذة المتخصصين.

كما عمل خبيراً ومستشاراً في مجلس قيادة الثورة، وفي رئاسة الجمهورية ـ مكتب السيد الرئيس (١٩٨٨ ـ ١٩٩٠). وفي مركز البحوث والدراسات التابع لرئاسة الجمهورية خلال المدة المذكورة.

أشرف على عدد من الاطروحات في معهد البحــوث والدراســات العربية العليا وفي كليتي الدفاع الوطني والحرب في جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا منذ بداية تأسيســها وتفرغ لحقبــة للتدريس فيها. وفي كلية العلوم السياسية وكلية القانون وكلية الادارة والاقتصاد وغيرها

ولا بأس في أن نذكر أهم الرسائل والاطروحات التي أشرف عليها:

- ثورة ١٤ تموز في العراق : ليث عبد الحسن الزبيدي ١٩٧٧.
- نحو ستراتيجية عربية في البحر الاحمر : عبد الرزاق ناجي حسين ١٩٧٧
- السياسة الخارجية العراقية : قحطان أحمد سليمان ١٩٧٨.
- جماعة الاهالي في العراق : فؤاد الوكيل ١٩٧٨.
- مستقبل العلاقات الدولية في الخليج العربي: غسان ابراهيم حسين ١٩٧٨.
- ستراتيجية صراع القوى الكبرى في الوطن العربي: محــمد عبــد المجيد حسون ١٩٨٠.
- التطور المعاصر لنظام الاحداث في التشريعات العربية: رجاء الشــاوي ١٩٨٤.
- السياسة الامنية الاقليمية لدول الخليج العربي في الثمانينات: نصير محمد نوري ١٩٨٨.
- الدولة القومية في فكر حزب البعث العربي الاشتراكي: لطيف كريم محمد ١٩٨٨.
- العلاقات الايرانية – السوفيتية: ناظم يونس الراوي ١٩٨٩.
- الحياة الحزبية ومسألة الديمقراطية في المغرب العربي: أنور مولود ذيبان ١٩٨٩.
- دور القيادة السياسية العربية في إدارة الصراع: انمار لطيف نصيف جاسم ١٩٩١.



مع بعض زملائه من أساتذة الكلية

وبعض طلبة الماجستير والدكتوراه

١٦ / ٤ / ٢٠٠١

- مشكلة الاندماج الوطني في الجزائر: خيري عبد الرزاق ١٩٩٢.
- التلاحم والتنافر في تكوين المجتمع: شاكر عبد الكريم فاضل ١٩٩٢.

كما أنه اشترك في مناقشة الكثير من رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه في كليات كثيرة منها:-

رسالة الماجستير والدكتوراه لمؤيد الونداوي، وعلي محمد سعيد، ونداء مطشر صادق، وصلاح ابراهيم النقشبندي، ونضال كاظم سلمان الهلالي، وسعيد رشيد عبد النبي، وعبد السلام ابراهيم البغدادي، وصلاح حسن مطرود وغيرهم.

وبعد احالته الى التقاعد سافر الى ليبيا للتدريس في جامعاتها وبقي فيها حتى عام ١٩٩٦ وكان موضع تقدير الجامعة التي درس فيها وقد أدار الندوات كافة في العلوم السياسية إدارة حسنة وذلك بإصرار من إدارة الجامعة الليبية تقديراً منها لما يتمتع به من غزارة علمية وسعة أفق في مجال تخصصه.

عاد من ليبيا وقد أصابه شيء من الاحباط النفسي لما لقيه من عقوق صادر عن بعض طلابه الذين اساءوا اليه ولم يؤدوا ما يتوجب على التلميذ تجاه استاذه. عاد الى بغداد واحتضنته كلية العلوم السياسية وأكرمته أيما إكرام حيث منح لقب استاذ متمرس من قبل الكلية المذكورة عام ٢٠٠١ وبعد استحصال موافقة رئاسة جامعة بغداد، كما خصصت له غرفة مستقلة كباحث متميز واستاذ قدير فيها الى جوار غرف الاساتذة الذين يحملون لقب الاستاذية. ومنح جائزة يوم العلم في احتفال كبير أقامته جامعة بغداد بمناسبة يوم الجامعة.

ولما تم فتح وانشاء قاعات لطلبة الدراسات الاولية في كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد عام ٢٠٠١ قررت عمادة الكلية في حينه -وبإيعاز من عميدها آنذاك الدكتور هاني الحديثي- إطلاق اسم الدكتور صادق الاسود على واحدة من قاعات الكلية تقديرا لمكانته وخدماته في هذا الصرح العلمي وما زالت القاعة تحمل اسم الراحل صادق الاسود.

المؤتمرات:

شارك في مؤتمرات عديدة داخل القطر وخارجه منها:

١- مؤتمر الخبراء غير الحكوميين لوضع اعلان عالمي للتمييز العنصري الذي أعدت له وعقدته منظمة اليونسكو عام ١٩٧٨.

٢- مؤتمر الجمعية للعلوم السياسية الذي عقد في القاهرة بشأن تدريس العلوم السياسية في الجامعات العربية.

٣- مؤتمر الجمعية العربية للعلوم السياسية بشأن (العرب والعالم) الذي عقد في العاصمة الاردنية -عمّان- عام ١٩٨٩.

٤- وفي داخل العراق أسـهم في جميع المؤتمرات والندوات واللجان ذات النشـاطات العلمية المختلفة التي كانت تعقـدها دوائر الدولة ومراكز ابحاثها والجمعية العراقية للعلوم السياسية وجمعية الحقوقيين العراقـيين وغيرها.

منحته الحكومة اجازة تفرغ عام ١٩٨١ يقضيها في فرنسا من أجل كتابة بحث عن موقف فرنسا من العرب وقضاياهم وقد أعانته مقـدرته وتمكنه من اللغة الفرنسية في انجاز بحثه بسرعة ودقة.



في إحدى المؤتمرات الدولية



مناقشة اطروحة جامعية مع لجنة المناقشة والطالب

كتابة المذكرات:

كان يهوى كتابة المذكرات منذ ان كان طالبا في باريس دوّن في دفتر مذكراته أحداثاً كثيرة عاشها ولكنه أغفل بعض القضايا فلم يذكرها.

فهو نادم مثلاً على عدم تدوين أحداث آيار عام ١٩٦٨ التي بدأت من ألمانيا وأنتقلت الى فرنسا بسبب تفشي البطالة وأرتفاع الأجور. وقد أحتج الشباب الفرنسي على تردي الوضع الأقتصادي، وإيجاد فرص عمل أفضل لهم حيث قاد طلاب جامعة "تانتير" الباريسية التظاهرات الأحتجاجية الصاخبة والتي أدت في النهاية الى استقالة الجنرال "ديغول" وفشل الأيديولوجية الفرنسية.

ولما حدثت الحرب العراقية ـ الإيرانية دوّن في دفتر مذكراته أحداثها منذ البداية وحتى النهاية. فسجل مشاهداته وخواطره لكل ما حدث في بغداد من قصف للأحياء السكنية وما أحدثه فيها العدوان الثلاثيني على العراق وبغداد بالذات، حيث كان يخرج مع الناس الى مكان سقوط الصواريخ أو القنابل التي تقذفها الطائرات على الآمنين من المواطنين فيسجل الحدث وهو يسأل المارة والمشاهدين وينقل ما تكتبه وسائل الإعلام المقروءة وما يبثه الإعلام المسموع والمرئي. وقد جمع مادة كبيرة في تسجيل حجم الدمار الذي أحدثه العدوان.

في بيته خزانة كتب كبيرة شغلت صالة كبيرة ضمت كتبا في مصادر الفكر السياسي والتاريخي وبلغات مختلفة في العربية والفرنسية والانجليزية والالمانية. كما جمع فيها اعدادا كثيرة من الصحف العراقية والاجنبية ومجاميع من المجلات الاكاديمية العربية والفرنسية.

ويعدّ الدكتور صادق الاسود أول أستاذ عراقي كتب في علم الاجتماع السياسي وأول من كتب في علم النفس السياسي وأول من كتب في موضوع الترميز السياسي ولهذا أخذت معظم كليات العلوم السياسية في الجامعات العربية على عاتقها تدريس كتابه: علم الاجتماع السياسي.

الرحيل:

كان الراحل الدكتور صادق يعاني مشاكل صحية في القلب أدى في الاخير الى عجز في عمل قلبه، تطور الى مضاعفات خطيرة، وقد صاحبه عجز في الرئتين بسبب اسرافه في التدخين... وفي الايام الاخيرة من حياته اشتدت وطأة المرض عليه فأدخل المستشفى ولكن المنية أدركته في اليوم الرابع عشر من شهر آذار عام أثنين بعد الألفين ودفن في النجف في مقبرة السلام، وقد عزّ نعيه على زملائه وطلابه وعارفي فضله، ونعته الاوساط العلمية وزار بيته عدد من زملائه وطلبته لتقديم التعزية لاسرته مع هدية جامعة بغداد مشاركة منها في المواساة وتعبيرا عن حزن الاسرة الجامعية عامة واساتذة كلية العلوم السياسية بخاصة.



مع بعض طلابه وزملائه

١٩٩٧/١٢/٢٨

صادق الأسود

١- عضو مؤسس لاتحاد الحقوقيين العرب.

٢- عضو مؤسس للجمعية العربية للعلوم السياسية.

٣- عضو اللجنة العليا لاصلاح النظام القانوني في العراق.

٤- عضو اللجنة الستراتيجية العليا لاصلاح التعليم الجامعي في العراق.

٥- عضو مجلس كلية ومجلس ادارة لعدد من الكليات.

٦- عضو في هيئة تحرير مجلة الجمعية العربية للعلوم السياسية ومجلة العلوم السياسية ومجلة مركز الدراسات الفلسطينية ومجلة الحقوقي التي تصدرها جمعية الحقوقيين العراقيين وعضو تحرير مجلة الدفاع الوطني التي تصدرها كلية الدفاع الوطني ـ جامعة البكر للدراسات العسكرية.

٧- عضو مجلس الادارة في مركز الدراسات الفلسطينية ـ جامعة بغداد.

الفصل الثاني

في مرآة زملائه وأصدقائه

لا يعرف الانسان نفســه الا إذا عرفه غيره. فهذا (الغير) هو المرآة التي ترتسم عليها الملامح الشخصية، ظاهرها وباطنها. لقد استشــرفت رأي أولئك المحيطين بــالدكتور صادق الاســود لأســتجلي من خلال حــديثهم شخصيته على ما هي عليه، فتكونت في قلمي صورة حية لما أريد ان اكتب.

ففي حديث مســهب **للاســتاذ الدكتور رياض عزيز هادي** من كلية العلوم السياسية في جامعة بــغداد، عبّر فيه عن رؤيته لصديقــه المرحــوم صادق الأســود تعبــيرا ينم عن عمق ما يكنه الدكتور رياض من تقــدير له وإعجاب به وتعلقا بذكرياته معه، وهو الذي عرفه منذ بداية العام ١٩٧٢ حين أصبح الدكتور رياض عضوا في الهيئة التدريسية في كلية القانون والسياسة في جامعة بغداد. إنه يعبر عن تلك الحقبة بصدق تتضمنها كلمته التي أرسلها للمؤلف وشحّها بعنوان جميل وصف فيه الدكتور صادق بصاحــب الثقــافة الموسوعية يقول فيها:-

((ربطتني بالدكتور صادق الاسود علاقة زمالة ثم صداقــة كانت وستبقــى موضع اعتزاز لدي. ولقد اتيحت لي من خلال ذلك أن أتعرف عن كثب على شخصية هذا الرجل المثقف... عرفته منذ بداية عام ١٩٧٢ حين أصبحــت عضوا في الهيئة التدريسية في كلية القانون والسياسة فوجدته انســانا يمتلك احاسيس مرهفة بكل شيء .. وثقافة موسوعية في كثير من ميادين وحقــول المعرفة والحياة... ففضلا على كون الدكتور صادق الاســود احــد أبــرز المختصين في العلوم السياسية في العراق فأنه كان يتمتع بثقــافة في ميادين الفلسفة والاجتماع والتربية والاقتصاد فضلا عن ثقافة أدبية واسعة وحــب للسينما والرسم والموسيقى.

وحين سُئل الدكتور رياض عن مصادر ثقافة زميله الدكتور صادق أجاب قائلا:-

كان حبه الثقافة منذ بــدايات شبابــه تمثل بالقــراءة الكثيرة واقــتناء الكتب والمجلات وعززت ذلك الشغف دراسته في فرنســا واطلاعه الواســع على الثقافة الفرنسية والحياة الفرنسية)).

ويضيف الدكتور رياض في حديثه قوله:

((تمتع الدكتور صادق الاسود بأحترام ومحبة زملائه في الجامعة وبإعجاب كبير من طلابه سواء في الدراسات الاولية أم في الدراسـات العليا... فكان لدروسه ومحاضراته صدى عميق لديهم وأثر طُبع في نفوسهم وذاكرتهم ظل باقيا حتى بعد سنوات عديدة على تخرجهم في الجامعة... بل ان مشـاعر الاعجاب والمحبة له أمتدت الى أجيال من الطلبـة لم يتسـن للدكتور صادق الاسود تدريسهم لكنهم درسوا على كتبـه ومؤلفاته المنهجية ولا سـيما في ميدان علم الاجتماع السياسي.

شـارك الدكتور صادق في العديد من المؤتمرات الدولية العلمية وصدح صوته في الكثير من المنتديات الثقـافية والجامعات من خلال محاضراته وندواته وأسهاماته...".

وينهي الدكتور رياض الاسـتاذ الجامعي ورئيس جمعية حقـوق الانسان في العراق ــ حديثه عن الدكتور صادق قائلا:-

"كان الراحل مزيجا من المشـاعر والاحاسـيس المرهفة جعلت منه معدنا وشخصية متميزة لم يتمكن الجميع من سبر غورها أو فهم مكنوناتها... وقبل كل ذلك كان وطنيا غيوراً على وطنه محباً لامته العربية مربياً وأستاذاً كبيراً يعتز بمهنته أشد الأعتزاز... ولطالما عبّر عن كل ذلك بسيرة ناصعة وأدب جم ومواقف لا تنسى... ولقد شهد الجميع له بذلك)).

أما زميله **الأسـتاذ الدكتور غانم محـمد صالح** رئيس فرع الفكر السياسي في كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد، فقـد وصفه كواحـد من العلماء الزهاد الانقياء المتواضعين المترفعين عن متع الحياة وزخارفها...

وعن معرفته به يقول:

((عرفته عندما كنت طالبا فوجدت فيه صفة صاحب العلم المتفاني في عمله، المحب لطلابه، الراغب في تزويدهم بمعرفته التي أكتسبها من حياة الغربـة

والتحصيل العلمي العالي، ومتقربا منهم ما أستطاع، عاكسا لهم رغبـته في بناء علاقته على اساس التواصل في العلم والمعرفة فرحا بمن يكتسب منه أكثر ما يمكن من العلوم التي نالها بـفضل تفانيه في بـلوغها من دون منّة ولا مباهاة.

ثم عرفته كزميل في العمل المشترك بعد سـنوات من التحـصيل العلمي، فزاد قربي منه ليس فقط اعجاباً به، خلقاً وتعاملاً، وإنما اصبحت منه أكثر قرباً من الغير بـفعل التواصل المعرفي والرغبـة في الاسـتزادة منه بمرور الزمن. وكلما التقيناه في جلسات علمية، أسبوعية، تلمست فيه ثقـافة عميقة وليس علماً غزيراً في حقل اختصاصه فحسب، فهو، في هذه الجلسات مستمع جيد، ومناقش بـارع، وموضح لما خفي وأسـتعصى من معلومات خاصة بموضوع هو قريب من السياسة أو بعيد عنها.

ويستطرد الدكتور غانم في حديثه قائلاً:

((لمسـت في غزارة علمه وعمق آرائه ما لم أجده لدى الكثير من أقرانه، فكتبه التي تركها هي خير شاهد على عمق شخصيته العلمية ليس على مستوى جامعة بغداد التي ينتمي الى إحدى مؤسساتها العريقـة، أو جامعات القـطر الأخرى والتي تدرس اختصاصه، وإنما على مسـتوى الجامعات العربية في المشرق العربي أو مغربه بحيث أنه ما أن تتوافر الظروف لتواجد مؤلفاته العلمية الجامعية حتى تحتل مكانها الذي تستحقه بما يليق بها قياسـاً بنظيراتها.

ووجدت في إدارته العلمية المتمثلة في المواقع التي شغلها في حقب مختلفة من حـياته الاكاديمية أخاً متفهماً كحقيقـة أن أفضل الناس هم أولئك الذين يملأون مواقعهم التي يتم اختيارهم لها، وأولئك الذين يتركون بصماتهم عليها، وليس أولئك الذين تترك هذه المواقـع أثرها أو تأثيرها فيهم أو في سلوكهم.

ويختتم الدكتور غانم حديثه بقوله:

هكذا كان الاخ صادق الاسود ــ رحــمه الله ــ ودوداً لاصدقــائه وزملائه، متواضعاً مع الجميع من دون تكلف، عالماً من دون إدعاء، مخلصاً من غير مواربة، متفانياً في عمله خدمة لوطنه وأمته)).

وكان **للاستاذ الدكتور كاظم السعيدي** (الاســتاذ في جامعة بــغداد وعميد كلية الادارة والاقتصاد الاسبق والمستشار السابق في مكتب الشؤون الاقتصادية بمجلس قيادة الثورة) رأي في صديقه الدكتور صادق الاســود. فالسعيدي لم تكن نظرته الى الراحل المترجم له بأقل من نظرات سابقيه، وهو الذي زامله لســنوات في جامعة بــــغداد فوجده عالماً جليلاً وفاضلاً يمتاز بــالتواضع الجم والخلق الرفيع والهدوء والاتزان وعدم حــــب الظهور او الادعاء بما ليس فيه.

ويضيف الدكتور السعيدي الى صفات الدكتور صادق أنه كان حيّياً، قليل الكلام، وأنه لم يكن له الوقــت الكافي لمعاشــرة الآخرين إلا للمحــافل العلمية وكأنه يحمل هموم الحياة ومتاعبها.

أما في ما يخص أسلوبــه في الكتابــة فأنه يمتاز بــالعمق والجودة المنهجية والوضوح، ويعزو الدكتور السعيدي ذلك الى سعة اطلاعه في حقل اختصاصه والتي تبدو لقــارئها وكأنه يحــمل خزيناً غزيراً من المعلومات وخاصة موضوع علم الاجتماع السياسي.. هذا العلم الذي حاز فيه الدكتور صادق الريادة في العراق والوطن العربي.

وحسناً فعل بيت الحكمة عندما كرّم العلماء في حقــول أختصاصهم ومنهم المترجم له الذي خســرته الاوســــاط الجامعية كعالم رائد من علماء الاجتماع السياسي وعلم النفس السياسي.

في ضمائر تلامذته:

تبقى وشيجة الذكرى الطيبة قائمة بين الاستاذ وتلميذه، فهي تنمو مع الزمن وتتراقص كلماتها جياشة مفعمة، مترعة بالثناء، لا ينتابها النسيان... إنه الجنى الطيب من الكلمة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

كان لا بد لنا من أن نستشـــرف رأي لفيف من أولئك الذين ترك فيهم أستاذهم الدكتور صادق الاسود أثره فنطقوا بـــمآثره، وعبـــروا عن عطائه بصدق المأخوذ المزدهي بأيام التلمذة المصفوفة في خزائن الايام.

فهذا **الدكتور هاني الياس خضر الحـــــــديثي**، عميد كلية العلوم السياسية سابقا، والمدير العام في مركز جامعة بـــغداد حـــاليا يعطينا صورة براقة لتلك الرابطة الروحية الحميمة التي لم تنفصم عراها بأســـتاذه الدكتور صادق منذ أن قبل طالباً في كلية القـــانون والسياســـة عام ١٩٧٢ــ١٩٧٣ فيقول في كلمة بعنوان "صادق الأسود العالم والانسان": (كنت أعلم أني أقف أمام أفذاذ الاساتذة في كلية عريقة من كليات الجامعة الأم ــ جامعة بـــغداد ــ وأمام رصانة وعلمية وعراقـــة هذه الكلية الأم واســـاتذتها الأجلاء، وجدت نفسي، في المرحلة الاولى من الدراسة بإزاء أستاذ كله علم وأدب وصراحة، هو الأستاذ الدكتور صادق الأسود، الذي علمنا على وفق منهج علم الاجتماع السياسي كيف نكون رجالاً نعالج علم القانون والسياســـة على وفق تفاعلهما مع المجتمع....).

وعن طبيعة علاقة الدكتور صادق بطلابه، يقول الدكتور هاني:

((إن الملاحـــظة الاولى التي وجدتها في أســـتاذي الجليل العالم، صرامته وصراحته ومجالسته طلبته في قاعة الدرس في الكلية وتحـــت الشـــمس في حدائقها فأنطبـــعت في ذهني صورة رائعة للأســـتاذ المعلم والتربـــوي من الطراز الفريد.

وفي قاعة الدكتوراه عام ٩٣/١٩٩٤ وجدته رائعاً أكثر وهو يتعامل في مادة جديدة أسمها حينذاك: الوحدة الوطنية)).

هنا أستوقف الدكتور هاني الحديثي عند هذه الحقيقة لتوضيحها فأستطرد قائلاً:

((كان – رحمه الله – ينظر الى العراق ككل متكامل. فالطالب ابن محافظة الانبار عندما يكمل دراسته في جامعة البصرة سيغادر سنوات الدراسة وفي ذهنه ذكريات البصرة التي سيذكرها ويعشقها طوال سنوات عمره، وهكذا الحال لأبن البصرة عندما يكمل دراسته في الموصل، أو ابن الموصل عندما يكمل دراسته في بغداد.... الخ.

وأن المعمل الانتاجي الذي يقام في أربيل ويعمل على منتجات الوسط أو الجنوب سيكوّن لحمة وطنية تتماسك خلالها لحمة الوطن الواحد. وفي وصفه الأستاذ الجامعي وكيف ينبغي له أن يكون كان يردد، إن الأستاذ الجامعي ينبغي له أن يعرف من مشيته برزانته وثقل علمه ونزاهته ورفعة أخلاقه....)).

والحديث مازال للدكتور هاني الحديثي:

((وقد شاءت الظروف أن أتسلم عمادة كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد في ٢٠٠٠/٩/١٧ وكان الأستاذ الدكتور صادق غائبا في شخصه عن الكلية بسبب إحالته الى التقاعد، وعرفاناً بالجميل له ولبعض آخر ممن تركوا بصماتهم القوية في هذه الكلية أتخذت قراراً بإعادة أستاذنا الى أروقة الكلية ليكون أنموذجاً من النماذج التي ينبغي للأجيال الجديدة أن يتمثلها، ولأجله نجحت جهودنا في إعادته بصفة أستاذ متمرس في الكلية.

وفي ٢٠٠١/٣/٣١ ، ولمناسبة عقد المؤتمر العلمي الأول في الكلية اتخذنا في مجلس الكلية قراراً بإطلاق اسمه مع عدد محدد من الأساتذة الأفاضل على بعض قاعات الدراسة، وحينها وجهت له وللأساتذة الآخرين

المعنيين بالأمر رسالة دعوته فيها الى حضور المؤتمر والأحتفاء بـــإطلاق اسمه على إحدى القاعات....)).

وقد أرسل الدكتور صادق جواباً على الدعوة تلك نثبتها بخطه، وقد نشرت الرسالة في حولية العلوم السياسية، العدد الأول الصادر في أيلول سنة ٢٠٠١م.

عزيزي د. هاني.

تلقيت دعوتك لمشاركة بيوم العلم في الكلية،
وفي نفس الوقت الذي اشكرك فيه على هذه المبادرة
الطيبة، احييكم، انت والزملاء التدريسيين
الطيبين هذه الهمة والمثابرة على اعادة الكلية
الى الدرب الطويل، درب البحث والدراسات والبحوث
العلمية والاكتشافات وبناء صرح هذه الجامعة
في خدمة العراق، عراق الحضارة والمجد والسؤدد.
ولكم يؤسفني الا اكون معكم بسبب تدهور صحتي
المدة الاخيرة، حيث ادخلت المستشفى مرتين متعاقبتين
ومازالت الفحوصات والمراجعات مستمرة.
واخيرا، اتمنى لكم كل التوفيق، وشكرا
جهودكم في ساعات اختفاء العلم وعملكم.
تحياتي الى الجميع الاعزاء

صادق الاسود

هذه الرسالة أنموذج خطي للمرحوم د. صادق الأسود، وقـــد أرسلها الى الدكتور هاني الحـــديثي تلميذه في الأمس وعميد كلية العلوم السياسية يوم كتب الفقيد رسالته.

يقول الدكتور هاني الحديثي: "وكان أملي أن يتعافى وكان يكفيني ويكفي هذه الكلية أن يشاهد الطلبة والاساتذة وهو يسير في أروقتها لنتعلم ويتعلموا منه الكثير، ولكن الظروف شاءت أن أغادر مسؤوليتي في الكلية ويغادر هو بعدي الحياة لتبقى في ذكرياتنا حلماً رائعاً يداعب عقولنا، نتعلم منه وهو في مماته كما تعلمنا منه وهو في حياته، وأن وعد الله حق.

الدكتورة بلقيس محمد جواد (استاذ مساعد في كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد)، فإن الذكريات الكثيرة تتزاحم في مخيلتها عن أستاذها الذي أجلّته وأقامت له في نفسها صرحاً من التقدير والاعجاب بالرغم من قصر المدة التي سمعت فيها دروسه والتي كانت كفيلة بإحداث نقلة نوعية في حياتها الدراسية والعلمية من حيث المكان والاختصاص.

لقد تحدثت الدكتورة بلقيس عن ملابسات الأمر الذي أوقد في نفسها جذوة الاعجاب بأستاذها، وفي يوم من أيام شهر تشرين الأول عام ١٩٧٦ حين حضرت أول محاضرة له في علم الاجتماع السياسي، لقد عبّرت عن تلك الساعة بأنها ساعة ساحرة دفعتها لأن تدرس كتابه المنهجي بشغف وتمعن لما فيه من عمق المعنى والتحليل.

تقول الدكتورة بلقيس: "سحرني وأيقظ ذهني ما ينطوي عليه ــ الدكتور صادق ــ من معرفة واطلاع واسع"، وتضيف قائلة: " تمنيت آنذاك ودعوت الله جل جلاله ان يتحقق الحلم الذي راودني خلال السنة الدراسية الاخيرة وهو: أن اتخصص بذلك العلم..".

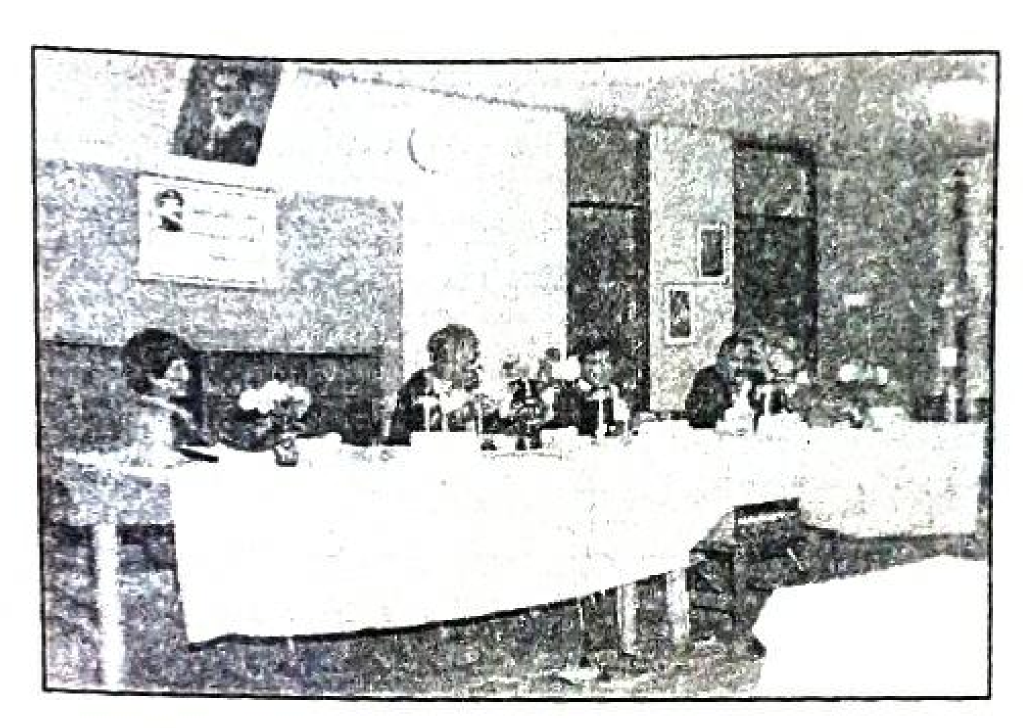
وتواصل الدكتورة بلقيس حديثها فتقول: "تحقق الحلم، وسافرت الى البلد نفسه الذي عاش فيه صادق الأسود، لكن بعد أن وجدت الاختصاص الدقيق وأجتزت السنة التحضيرية، تساءلت في أي موضوع أبحث؟ وعن أي موضوع أكتب؟ رجعت الى بغداد ١٩٧٩، وأنا مقتنعة بأن الذي ألهمني هذا العلم كفيل بمساعدتي، زرته في بيته وعرفته بنفسي، بأني طالبتك التي لم توفق إلا بساعة واحدة معك.

تناقشنا بشأن موضوعات عديدة طيلة ثلاث ساعات، لم يقيدني بأي موضوع بل فتح أبواب العلم أمامي على مصراعيه كي أختار بشرط ان أتعلم كيف أبحث؟ ولماذا أبحث؟ أي دفعني لاختيار الموضوع بموضوعية، واحلله بواقعية. علمني كيف أكون كبيرة مع ذاتي.

وبعد انتهاء مرحلة الماجستير ١٩٨١ تشوقت لزيارته ــ رحمه الله ــ كي أغرف مرة أخرى من هذا المنهل الذي لا ينضب.

تعمقت صداقتي مع هذا العالم الجليل عند تعييني في كلية القانون والسياسة ١٩٨٦ فتحولت علاقتي معه الى مرحلة جديدة من مراحل الزمالة، لم أحرم التشجيع والدعم المتواصل لي منه في المسيرة الوظيفية وفي مواكبة العلم فلم أنس اليوم الأول من دخولي الكلية لاجل التعيين، أحتضنني أمام جميع الاساتذة وقال: إنها أول دكتورة في قسم السياسة لم اكن أعرف في حينها تلك المعلومة. كان موقفه النبيل يوم إجراء الاختبار لأجل التعيين، أتذكر نقاشه معي بشأن أطروحتي في الدكتوراه بحماسة مستعرضاً تاريخ فرنسا بدقة. اندمجت معه كلياً ونسيت نفسي حتى نادتني سكرتيرة القسم لأجل الاختبار وقد عرفت في ما بعد أنه كان يسعى الى محو القلق والخوف الذي ينتاب كل فرد عند الامتحان.

ولم أنس أبداً نصيحته لي عند أول يوم من مباشرتي التدريس في شهر شباط ١٩٨٦ حين قال لي: "بلقيس هذه أول تجربة وظيفية لك، عليك بالآتي: لتكن حركاتك وافعالك في الكلية واضحة للعيان، بلقيس أخدمي مؤسستك وأحتضنيها فأن التدريس أنبل وأشرف وأخطر مهنة، كوني الاستاذة والمربية لأنه لا جدوى من علم من دون أخلاق". عمقت صداقتي معه أكثر عندما أنشئت كلية العلوم السياسية عام ١٩٨٧ حين عيّن الدكتور صادق الاسود رئيساً لفرع النظم السياسية، فأشتركت معه في مكتب واحد وكنا نتباحث كثيراً بشأن عدد من القضايا التربوية والعلمية وأنا أصغي اليه



مناقشة رسالة ماجستير. ويظهر فيها الدكتور صادق الأسود والدكتور حافظ علوان والدكتورة بلقيس محمد جواد الناصري

كما يصغي الطالب لاستاذه وهو الذي شجعني على الاشـراف للمرة الأولى على رسالة ماجستير لاحد الطلبة، وفرحت كثيراً حينما صدر الأمر الجامعي بتعيينه واحداً من أعضاء لجنة المناقشـة لتلك الرسـالة التي أنجزت تحـت اشرافي فكان لآرائه وطروحاته وحججه الأثر الكبير في نفسي لانها صادرة عن استاذ خبر علم السياسة وحذقه وله آراء جليلة وعميقة.

كان يقول لي ــ رحمه الله ــ ان المثقـف هو الذي يختص بشـيء ويعرف كل شـيء، كان يطالع الكثير كماً ونوعاً، وكان يهوى التخطيط في الرسـم وكان بـارعاً في الخط، وله هوايات أخرى كالموسيقـى والرياضة والسباحة.

وأخيراً كنت أمني نفسي بأن أكون مثل صادق الأسـود في سـعة علمه، واستقامة سـيرته وعفّة نفسـه وصدق اخلاصه لأمته ووطنه، فقـد خسرته الاوساط العلمية إنساناً وعالماً وموجهاً ومربياً.

وتجيش العواطف في مشاعر تلميذه **الدكتور حافظ علوان الدليمي**، فإذا به يرسم لوحة جميلة لاستاذه صادق الاسـود أفرغ فيها كل ما يملك من فن، كل تطلعاته في أفق الانسان الذي أحبه واحترمه.

لقد خاطبه خطاب القلب الى القـلب حـين سـألناه عنه... لم يخف الدكتور الدليمي زفراته وكان عينيه قد أغرورقتا بدموع الأسى وهو يقول:

"أترانا نسيناك!؟ معاذ الله وإن كان لا بد من النسيان إذا طال الأمد فهي سـنّة الحياة، لكن ما أتومّض في الذاكرة ذكراك إلا وتنزف فينا جراحـات، وتثور فينا مواجع، كيف لا وأنت المرجع الذي نتحرق شوقاً لسـماع رأيك، والمرفأ الذي حثثنا ركابنا اليه لسماع رأي نستعين بـه لتذليل معضلة فكرية أو رأي غريب مستعصٍ، وفي بعض الاحـيان نحـاول أن نسـتفزك في أسـئلتنا واستفساراتنا لكن حلمك كان يسعنا فتقابلنا بالابتسامة الوادعة المشجعة على الاستمرار بالاكثار من الاسئلة والاستفسـارات دونما تذمر، وأنى للعالم أن يتذمر !؟ وبهذا الخلق الرفيع... خلق العلماء الواثقين دخلت عقولنا وقلوبـنا معاً.

وهكذا كنا ننتظر بشغف شديد موعد محـــاضرتك في كلية القــانون والسياسة عام ١٩٧٢ تلك المحاضرة التي لم تستغرق عندك أكثر من نصف ساعة تحيط بها بكل ما تريد أن تقوله فندرك كل ما تريد أن توصله الينا وتلك لعمري ميزة لم تتوفر إلا لقلة من الاساتذة. بعدها تطلب سماع اسئلة تلامذتك لتجيب عنها إجابـــة وافية رصينة من دون أن تمس مشـــاعر الآخرين أو المخالفين وكنت تصغي لطلبتك كما يصغي الطالب لأستاذه ولطالما أمتزجت حصة الدرس مع الفرصة من دون أن تتعب أو تمل أيها الراحل العظيم. وهل يمّل كلام العالِم!؟".

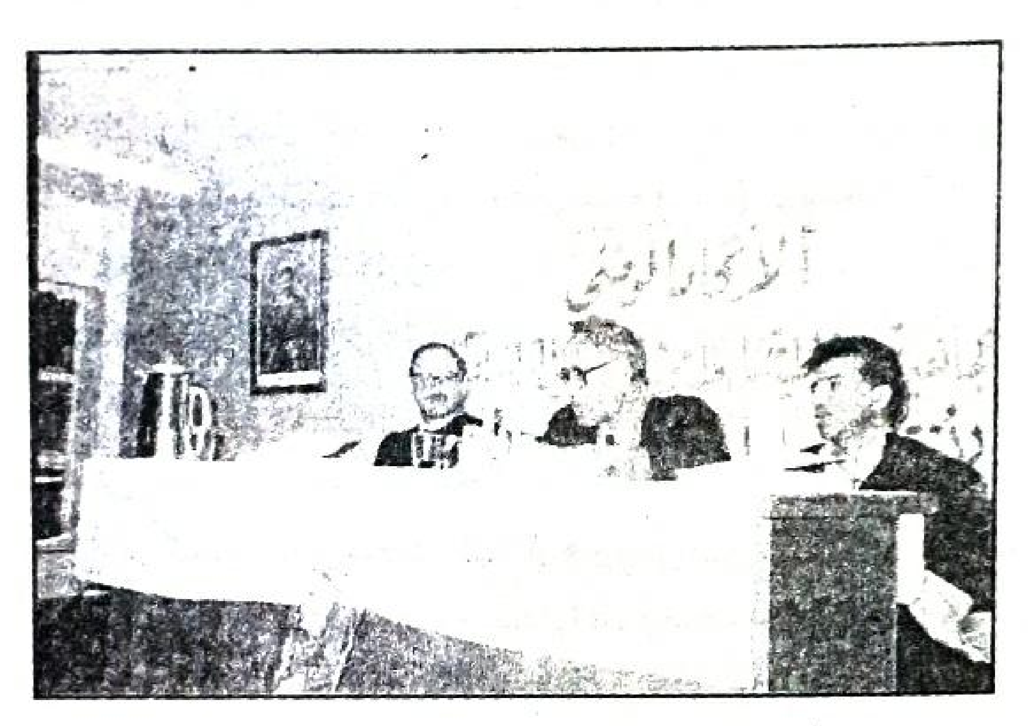
وتبلغ العاطفة بالدكتور الدليمي أوجها وإذا بـــه يضوى أســـى أمام ذكريات أستاذه فيخاطبه قائلاً:

"سيدي أيها الراحل المقيم والغائب الحاضر لقـــد زرعت فينا حـــب البحـــث والتقصي وعشق القراءة والاطلاع، ولقد حببت الينا حرية الرأي وأحـــترامه وعلمتنا أن اختلاف الرأي لا يفسد في الود قضية، وكم أكدت لنا أن المســـائل نسبية والحقيقة ليست مطلقة، والحق ليس دائما تنفرد به جهة من دون اخرى.

أعود لأقول: أترانا ننســـاك!؟ وإذا قـــدّر ذلك فأننا سنســـتعيدك في ذاكرتنا إذا ما أعترتنا مشكلة علمية توجب المشـــاورة وأني لأذكر كيف جاء إليك ممثلو الجبهة الشعبية لتحرير فلســـطين للإهتداء بـــرأيك بـــخصوص اختطاف أول طائرة تابعة للكيان الصهيوني، ولماذا أنت بالذات؟".

ويسترسل الدكتور الدليمي في حـــديثه ليبســـط في ذاكرته بـــعض الذكريات التي تتفرقع في ضميره كإنسان وفيّ لاستاذه فيقول:

"ثم دار الزمن دورته فأصبح بعض طلابك أيها الراحل العزيز أســـاتذة معك وفي الكلية نفسها وشاءت المصادفات ان يجتمعوا معك في غرفة واحدة ومن بين الاساتذة أنيسة السعدون وأنا وزميلتي بلقيس الناصري وطالما شملتني انا والدكتورة بلقيس برعاية خاصة مع تأكيد ما تقرأ حيث يعقب ذلك الارشـــاد والتوجيه.



مناقشة رسالة في كلية العلوم السياسية

٤ / ١٢ / ١٩٨٨

كان الكتاب شغله الشاغل ــ رحمه الله ــ فهو جليسه وأنيسه ورفيقه لا يفارقه أبداً. كما أستهواه الرسم وأبدع في الخط وأحب رياضة المشي وتذوق الموسيقى الكلاسيكية.

وفي زيارته الأخيرة باريس زار إحدى المكتبات والتقى بصاحبة المكتبة التي جلب انتباهها اختياره الكتب واستفساراته عن بعض المطبوعات فأعجبت به، وصادف أن حضر شخص ثالث أثار نقاشاً مفاده: أيهما أفضل السيف والخيل أم الفن والأدب، فالأولى سمة الشرقيين والثاني سمة الغربيين واستمر النقاش والجدل ثلاث ساعات انتهى بإقناع الرجل الفرنسي الذي اكتشف أمره الدكتور صادق في ما بعد أن اسمه (جاك) وهو يهودي أحضرته صاحبة المكتبة لإحراج الدكتور صادق وأعجب اليهودي وصاحبة المكتبة بلباقة الدكتور صادق وغزارة معلوماته ودبلوماسيته وطريقة نقاشه.

هذا هو جزء يسير مما تختزنه الذاكرة عن عالم جليل وأستاذ قدير خسرناه في وقت نحن بأمس الحاجة إليه ولأمثاله.

أما **الدكتور نبيل محمد سليم الزهيري** (رئيس قسم السياسة العامة في كلية العلوم السياسية في جامعة صدام) فقد وصف أستاذه الدكتور صادق بأنه كان وما زال معلمه الأول كما هو كذلك للكثير من طلابه الذين تتلمذوا له خلال دراستهم الجامعية.

الدكتور نبيل لا يرى بدّاً من اعطاء استاذه حقه، وحقه عليه اعترافه بأن محاضرته الأولى التي سمعها منه في مادة مبادىء علم السياسة قد حسمت اختياره الدراسي والذي كان متأرجحاً بين دراسة (الحقوق) او (السياسة).

وقد وصف الدكتور نبيل أستاذه بأنه كان متمكناً، متوازناً، موضوعياً، ومقنعاً في شرح المادة، كما هو شأنه دائماً. وعندما تنهال عليه أسئلة طلبته كان يجيب بثقة العارف باختصاصه، وتواضع العالم الواثق

بعلمه. ويرجع الدكتور نبيل ذلك الى معرفة الاستاذ العميقة بعلمه وتواضعه الذي جعله يستمع الى جميع طلابه ويجيب عن استفساراتهم بما يشيع حبهم للعلم وشغفهم بالمزيد...

يقول الدكتور نبيل: ((كان اللقاء به والحديث معه متعة لا تضاهيها متعة لأنه لا يجري على وتيرة واحدة ولم يكن ليتحدث في موضوع واحد أو في مجال واحد فقد كان يتنقل في الحديث بين العلم والأدب والفن والتراث برشاقة الطير من دون أن ينسى الربط بينها ليعيدك الى حيث بدأ الحديث معك. ولم يكن لينسى أن يروّح عن محدثه بالحديث عن فلم معين أو ممثل معين أو رواية لأديب معروف او مغمور ...)).

ويردف الدكتور نبيل الى ما تقدم قوله: ((ومع انبهار المتحدث معه بما يمتلكه من خزين من المعلومات، كان مصغياً جيداً لكل فكرة أو معلومة أو طرح. لم يحدث أن سفّه فكرة لأحد تلامذته أو سخر منها مهما كانت بسيطة أو حتى ساذجة، فهو يحرص على تصحيحها من دون أن يحرج صاحبها. وإذا وجد في أخرى أهمية وطرحاً جديداً شجّع محدثه على الاسترسال فيها وأولاها انتباهاً وأهتماماً شديدين وطالبه بإنضاجها وتطويرها. ومن فرط تواضعه كان يعطيك الانطباع بأنك لا تقل عنه قدرة على التفكير والتحليل والاستنتاج ليدفعك نحو المزيد بثقة. وكان يكرر دائماً أن القلق الفكري يدفع بصاحبه الى الابداع، ولعل ذلك هو ما زرعه فينا نحن تلامذته ، ولعله هو ما قصده عندما قال وهو محاط عند تكريمه في بيت الحكمة: أني أرى فيكم ثمرة علمي وجهدي، أنتم أبنائي حقاً، أنا فخور بكم وسعادتي لا توصف.

لقد رحل أستاذنا صادق الاسود وهذا شيء مؤكد، ولكن الأمر الآخر المؤكد هو أنه رحل عنا بجسده بينما بقي علمه وأخلاقه تركة ثرّة ينتفع بها كل طلاب العلم والمعرفة.

الفصل الثالث

المفكر المختص

علم الاجتماع السياسي:

يمكن أن ننظر الى الدكتور صادق الأسود على أنه من النمط النادر الذي لم تتشرذم توجهاته الثقافية لا في قراءاته ولا في كتاباته، وقد يؤخذ عليه في ذلك أن الثقافة الحقة يجب أن تكون من السعة بحيث تستوعب جوانب أخرى تخرج على المدى الضيق الذي يضع ذلك الكاتب في عنق الزجاجة ولا يترك له مجالا للحركة، وبعبارة أوضح أن يكون موسوعياً، ولكننا نجد في الساحة الثقافية من ينبري للدفاع عن مثل هذا الصنف من المثقفين بصفة أن التخصص في التوجه الفكري مدعاة لجمع شتات المعلومات المتعلقة بهذه الفكرة أو تلك، وقد كان صادق الأسود من هذا النمط... أستاذاً متمرساً متخصصاً في علم الاجتماع السياسي بل في علوم السياسة عامة وما يتعلق بها من علم الاجتماع، فهو بذلك قد حوّل علم السياسة من موضوع جامد الى موضوع علمي تجريبي يفسر الواقع والحقيقة الاجتماعية التي يشهدها المجتمع، ولا غرابة إذا ما عدّ من رواد علم الاجتماع السياسي.

فهو يكتب بأسلوب منهجي علمي صرف لايتعدى تقرير الحقيقة العلمية، مجردة كل التجرد إلا من الحقيقة الماثلة التي يريد رسمها بأبعاد دقيقة قد تميل الى الجفاف في كثير من الأحيان، فنراه كثيراً ما يعرض عن ضرب الأمثلة المستقاة من الواقع الذي يتحدث عنه بالرغم من كثرتها وتعددها، وحتى الأمثلة التي يسوقها فإنها غالباً ما تكون ضمن تجارب الأمم الأخرى والتي تعرضها المصادر التي يعتمدها في تقرير هذه الحقيقة أو تلك مع عدم إغفال التحليل والتحقيق والمطابقة.

السياسة والمجتمع:

فهو يرى أن علم الاجتماع السياسي وعلم السياسة مترادفان ويؤكد عدم وجود فرق بين العلمين، وان أستعمال الاصطلاحين لا يأتي إلا لغرض تسهيل فهم بعض المفاهيم.

فما دام علم الاجتماع وعلم السياسة يدرسان في قسمين منفصلين أحدهما عن الآخر، كما هو الحال في الجامعات الأمريكية، التي يستعمل فيها أصطلاح علم الاجتماع السياسي عندما يهتم أستاذ في قسم الاجتماع بدراسة الظواهر السياسية، ويستعمل أصطلاح علم السياسة عندما يعنى أستاذ علم السياسة بالظواهر السياسية. وعندما اختص كل فرع من هذين الفرعين في العلوم الاجتماعية بمجاله أجيز لكل منهما أن يفيد من النتائج المتحصلة لدى العلم الآخر وأن يضعها في إطار أختصاصه العام، أما في البلدان التي يختص فيها هذا التعارض الشديد بين قسمي علم الاجتماع وعلم السياسة، كما هو الحال في الجامعات الأوربية؛ فان علم الاجتماع السياسي يغطي علم السياسة لأن هذا الأخير لم يتطور ولم ينتشر كما حدث في الولايات المتحدة، فضلا على أن الاساتذة الذين يقومون بتدريسه ليس لديهم تخصص بالموضوع، وإنما انحدروا من فروع علمية أخرى كالتاريخ والفلسفة والقانون. ومن ناحية أخرى أن علم الاجتماع في أوربا أقدم من علم السياسة وقد نهض بتدريسه عدد كبير من أساتذة الجامعات والمختصين.

ويرى الدكتور صادق أن هذا الاتجاه الذي يتزعمه "موريس ديفرجيه" لا يسلّم به كثير من المعنيين بعلم الاجتماع السياسي حتى في فرنسا، إذ لو سلمنا بأن التمايز بين علم الاجتماع السياسي وعلم السياسة لا فائدة علمية له، وأن علم الاجتماع السياسي يغطي علم السياسة، فلماذا يستعمل الاصطلاحان في وقت واحد في الجامعات الفرنسية؟ إذ يدرس علم الاجتماع السياسي في السنة الأولى من كلية القانون، ويدرس علم السياسة في مرحلة دراسية متقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الكلية نفسها!.

ومن ناحية أخرى فأن هذا المعيار بدوره لا يمثل أية قيمة عملية أو علمية جدية ذلك لأن علم السياسة هو مجموعة كبيرة من مذاهب بحث ذات أصول متنوعة ومختلفة، كالقانون السياسي والفلسفة السياسية وتاريخ الفكر

السياسي وعلم الاجتماع السياسي، وكل هذه المذاهب ذات طبيعة مزدوجة فهي في جانب منها سياسية وفي جانبها الآخر قانونية أو فلسفية أو تاريخية أو أجتماعية. ولها أيضاً انتماء مزدوج فهي ترتبط بعلم السياسة من ناحية وبالقانون والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع من ناحية أخرى، ومع ذلك فهي تسهم في دراسة المشكلة السياسية في جوانبها المختلفة.

ويؤكد الدكتور صادق على أن هذه الارتباطات المزدوجة تفسر تنوع وحركة المختصين بدراسة علم السياسة وتدل على أن هناك طائفة ثانية ومستقرة من الباحثين في علم السياسة وطائفة أخرى منهم قادمين من ميدان علم السياسة من مذاهب أخرى كعلم الاجتماع، وبصورة عارضة للقيام بدراسات في علم الاجتماع السياسي ولا ضير في ذلك على علم السياسة بل أن الحادثة أعم وأشمل من ارتباطاته بالعلوم الأخرى، وبالأخص القانون والفلسفة وعلم الاجتماع منها، إذ أغنت بحوثه وعمقت منهجياته وزادت في ابعاده العلمية. فالمعونة التي قدمها علم الاجتماع الى علم السياسة لدراسة الوقائع السياسية دراسة علمية موضوعية لا يمكن أنكارها وفي الأخص المعونة التي قدمها علم الاجتماع العام وبعض فروع علم الاجتماع الخاص كعلم الاجتماع الديني والاقتصادي، كما أفاد علم السياسة من بحوث علم الاجتماع في بنية الجماعات الاجتماعية وأنماط عمل القوى الاجتماعية بحيث أندمجت في دراساته.

الدولة الأمة والدولة الحكومة:

للدولة مدلولان هما: الدولة الأمة، والدولة الحكومة. الى ماذا يشير كل من هذين المدلولين؟ يجيب الدكتور صادق عن هذا السؤال بأن:

مفهوم الدولة ــ الأمة يدل على المجتمع القومي الذي ولد في نهاية العصر الوسيط، ثم نما وتطور بحيث أنصهر وأصبح أكثر تلاحماً وتنظيماً في العصر الحديث.

أما الدولة ــ الحكومة فيدل على الحكام و الرؤساء في هذا المجتمع القومي. فإذا ما عدّ علم الاجتماع السياسي علم الدولة، وفصلنا دراسة المجتمع القومي عن المجتمعات الأخرى، عني ذلك ضمناً أن الدولة والمجتمع هما من طبيعة تختلف عن طبيعة الجماعات الانسانية الأخرى. ومن جهة أخرى إذا ما أخذنا بهذا الرأي الذي يرى أن علم الاجتماع السياسي هو دراسة الدولة لأقتضى الأمر أن نجعل علم الاجتماع السياسي أحد العلوم الاجتماعية الأخرى وقائماً على أساس طبيعة المجتمعات التي يعنى بدراستها أي أنه سيفتقد الى الوحدة في الموضوع الى التخصص ولن يتميز عن فروع علم الاجتماع الأخرى التي تعنى بدراسة العائلة و الجماعات إلا كون الدولة أوسع منها.

والحقيقة أن هذا الاتجاه يرتبط عنده بنظرية "السيادة" التي نشأت في العصر الوسيط وسيطرت على الفكر القانوني حتى الحرب العالمية الأولى. وبموجب هذه النظرية أن الدولة مجتمع متكامل، ويسيطر على كل المجتمعات الأخرى، وعليه فحكام الدولة يتمتعون نتيجة ذلك بصفة خاصة هي السيادة ولا يشاطرهم فيها رؤساء الجماعات الأخرى. ومن ثم فأن مفهومي "سيادة الدولة" و"السيادة في الدولة" ينسجمان على التعاقب مع مفهومي "الدولة ــ الأمة" و"الدولة ــ الحكومة".

ظاهرة الجماعة الاجتماعية:

وبشأن مفهوم الجماعة الاجتماعية يرى الدكتور صادق أن التجمعات البشرية ظاهرة ملازمة للوجود الانساني، ما دام الفرد لم يعد ــ منذ عهود طويلة ــ بمستطاعه أن يتحكم بحياته بمعزل عن الأفراد الآخرين، وكلما مست واقعة معينة عدداً من الأفراد وجد هؤلاء من مصلحتهم التعاون في ما بينهم وتوحيد جهودهم وتنسيقها لمواجهة هذه الواقعة، وكلما كانت هذه الواقعة مستمرة في وجودها اقتضت مصلحة هؤلاء الأفراد أن يظلوا في

تعاون مشترك في ما بينهم، فديمومة واقعة معينة تقتضي بالمقابــل ديمومة التعاون المشترك بين الأفراد من أجل مواجهتها. وقد تعرض الواقــعة على نحو منقطع حيناً وعلى نحو متصل حيناً آخر، الأمر الذي يقتضي تنظيم كيفية مواجهتها، في مراحل تشــنجها أو تراخيها، أي تنظيم العمل والتعاون بــين الأفراد الذين تمسهم هذه الواقــعة. غير أن الواقــعة الاجتماعية مهما كانت طبــيعتها أقــتصادية او سياســية أو مادية أو اجتماعية لا تنشــأ ولا تنمو ولا تتحول الى واقــعة اخرى إلا بــعد تفاعلها مع وقــائع أخرى موازية أو معترضة لها. الأمر الذي يعرض في التحليل الأخير الكشف عن سلســلة من الوقائع التي تمس حياة الأفراد وتتحكم في ظروفهم وأحوالهم المختلفة، فإذا ما أخذت هذه الوقائع بجملتها تولد عنها حركة آلية متحولة بأستمرار وينشأ عن فاعليتها الكلية وحــــدة من الأفراد يطلق عليها "الجماعة". ولهذه الجماعة جوهرها الذاتي وشــــخصيتها المتميزة عن الجماعات الأخرى وعليه فان الجماعات الاجتماعية تختلف في ما بينها بأختلاف طبيعة العلاقات القــائمة بين أفرادها وباختلاف مصالحها وباختلاف الوظيفة التي تقوم بها وباختلاف حجمها وأبعادها.

عوامل الظاهرة السياسية:

إن دراسة النشاط السياسي لا يمكن ان يستغني عن دراسة البــنيان الاجتماعي للجماعة الذي يتكون من ظواهر متعددة تعتمد الواحـــــدة على الأخرى. بل وتدين بوجودها الى علاقاتها بالظواهر الأخرى، لذلك فهو يرى ضرورة الأخذ بالحسبان عوامل البنى السفلى والبنية الفوقــية للمجتمع لمن يريد دراسة السياسة، والبنية السفلى عنده هي الاساس المادي الذي تقوم عليه المجتمعات أي هي القاعدة التي تنطلق منها الأفكار الاجتماعية والمؤسسات القانونية والسياسية والاقتصادية والثقافية في حين أن البنية الســفلى أساســاً تتألف (على حد رأيه) من أربعة عوامل هي:

أولا:- العوامل الجغرافية والتي تشـمل المناخ وطبـيعة الأرض ومصادر المياه .... الخ.

ثانيا:- العوامل الديموغرافية والتي تظهر من خلال كثافة السكان وانشطتهم ومعدلات اعمارهم .... الخ.

ثالثا:- العوامل التقنية المتعلقة بالوسائل التي يستخدمها الانســان في عملية تسخير الطبيعة وفي التحكم بالوسط الذي يعيش فيه.

رابعا:- العوامل الاقتصادية.

أثر الأقليم الجغرافي في العقلية السياسية

هل لطبيعة الأقليم الجغرافي تأثير يذكر في العقلية السياسية ؟

يقول الدكتور صادق:

نعم، فالعوامل الجغرافية وعلاقتها بالنظام السياسي أشـار اليه الفلاسـفة الاغريق وبينوا العلاقة الوثيقة بين البـيئة الجغرافية والنظام السياسـي في دويلات المدن الاغريقية فعزوا خشونة الاسبـارطيين وانظمتهم السياسـية الصارمة الى خشونة الموقع الجغرافي لاسبارطة، أما أثينا فقد كانت مفتوحة على التأثيرات الخارجية بحكم قربها من البحر، ولذلك فقـد تأثرت الحـياة السياسية فيها بحركات الرأي العام وأقامت من ثم نظاماً ديمقراطياً مباشـراً، وقد أشار أرسطو الى العلاقة بين طبيعة المؤسسات السياسية وطبيعة البـيئة الجغرافية في الجزر والبلدان المحاذية للبحار، ثم اسـتعاد "مونتسـكيو" هذه الفكرة القديمة بتفصيل أكثر في كتابه (روح القانون) إذ يقول بهذا الشأن: إن شعوب الجزر أميل الى الحرية من شعوب القارة، فالبحر يفصل الجزر عن الامبراطوريات الكبرى، ولا يستطيع الطغيان ان يمد يده اليها. فالفاتحـون يوقفهم البحر، فلا يجتاح الفتح سـكان الجزر ويسـهل عليهم ان يحـتفظوا بقوانينهم.

وعليه فأن البحر يوفر أمناً وطمأنينة لسكان الجزر، ويبعد عنهم خطر الضغوط الخارجية، الأمر الذي يؤدي الى ضآلة التلاحم في العلاقات الاجتماعية والى ضعف التراص والتداخل بين المصالح الفردية والمصالح العامة، فينعكس ذلك من ثم في النزعة الليبرالية بصورة عامة، كما هو الحال في الجزر البريطانية.

كما أن العوارض الجغرافية الأخرى ذات تأثير في العقلية السياسية، فيجد كثير من الكتّاب الى ان هناك ترابطاً بين الصحارى القاحلة الواسعة التي تحيط ببعض بلدان الشرق الأوسط والنظام الأوتوقراطي الذي ساد في الامبراطوريتين البابلية والاشورية، ويعدّ هؤلاء الكتّاب الانظمة الدكتاتورية العسكرية التي تقوم من وقت الى آخر في الشرق الأوسط امتداداً تاريخياً لهذه الظاهرة القديمة، وان هناك ترابطاً بين عزلة سويسره وراء جبالها الشاهقة عن بقية بلدان أوربا الأخرى ونوع النظام الديمقراطي القائم فيها.

التضخم السكاني وصلته بالسياسة:

إذا كان كثير من الكتّاب والفلاسفة القدامى كأرسطو ومن المحدثين مثل "مونتسكيو" و"روسو" قد ربطوا بين عدد السكان والحياة السياسية، فان الدكتور صادق الأسود قد ناقش هذه النظرية مناقشة علمية أثبت فيها عدم صمودها أمام الانتقادات التي وجهت اليها.

ومجمل النظرية: أن البلاد المزدحمة بالسكان، كثيراً ما تعاني الثورات وغالباً ما تجد نفسها في حروب مع الدول الأخرى. أما الدول قليلة السكان فتتمتع باستقرار سياسي نسبياً. وقد صاغ "مالثوس" سنة ١٧٩٨ نظرية مفادها "أن السكان يتزايدون بصورة متواليات حسابية وعليه فأن الموارد الطبيعية لا تكفي زيادة السكان المتصاعدة دائماً، وعلى هذا النحو

علل بعضهم أندلاع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ والحروب النابليونية التي تتابعت سنة ١٧٩٢ حتى سنة ١٨١٥. وان تزايد عدد سكان أوربا فيما بين سنتي ١٨١٤ــ ١٩١٤ أدى الى قيام الثورات والحروب العديدة خلال هذه الحقبة والتي أدت الى الحرب العالمية الأولى. وأن تزايد السكان في اليابان والمانيا دفعهما الى إشعال الحرب العالمية الثانية".

نقد النظرية:

وكان النقد الذي وجهه الدكتور صادق الى هذه النظرية يتلخص في انها لا تصمد أمام الانتقادات التي توجه اليها، فإن بعض الدول ذات كثافة سكانية عالية ومع ذلك فإنها تتمتع باستقرار سياسي ولم تعرف عنها نزعة عدوانية وتوسعية تذهب الى حد إشعال الحروب. وقد ضرب مثلاً في ذلك هولندا وروسيا حينما كانت ضئيلة السكان عندما أندلعت فيها ثورة ١٩٠٥ و١٩١٧. فهو يقول عن ذلك: "إن دراسة علمية دقيقة للثورات وأسباب الحروب تقتضي دائماً ان تؤخذ بالحسبان جملة عوامل مهمة وبالأخص العامل الاقتصادي، بل أن نظرية "مالثوس" ذاتها قد دحضتها وقائع كثيرة ولم يعد يتمسك بها إلا بعض الأوساط الاستعمارية كالولايات المتحدة....".

وإذا كانت المشكلة قد طرحت من أولئك الفلاسفة طرحاً عاماً أهمل الوضع في الدول النامية على أساس أن هذه التسمية لم تكن موجودة في عصرهم، فأن الدكتور صادق قد أضافها الى النظرية حينما قرر أن المشكلة في هذه الدول ذات طابع آخر وذلك لأن العناية الصحية ــ على حد رأيه ــ تقضي الى حد كبير على نسبة الوفيات وتزيد من معدل السن بصورة عامة، الأمر الذي يؤدي الى زيادة السكان بنسبة عالية، في حين أن الجهود المبذولة في التنمية والتطوير فيها تقتضي في أغلب الأحوال الاقتصاد في انتاج المواد الاستهلاكية لغرض توفير رأس المال وإنشاء المصانع وشق الطرق وبناء السدود وغير ذلك.

وبناء عليه فأن الدكتور صادق يرى ان شحة المواد الغذائية في الوقت الذي يتزايد فيه عدد السكان يطرح مشكلة تقتضي إيجاد حل لها بصورة عاجلة، وإلا فسوف يصاحب هذه المرحلة الانتقالية صراع سياسي عنيف قد يصل الى حدّ الثورات أو الانقلابات العسكرية ثم يكون مبعثاً للأستقرار السياسي لزمن طويل.

التقدم التقني وأثره في الحياة السياسية:

كان للتقدم التقني آثار عميقة في الحياة السياسية بجميع مستوياتها، أيجابية أحياناً وسلبية أحياناً أخرى. ما هي أهم المعالجات التي رآها الدكتور صادق مناسبة لمثل هذه المواقف؟

الجواب: لما كانت الحريات العامة في معظمها تقليدياً، فهي وسائل للعمل السياسي ولكنها قد تغيرت جذرياً وغدت ذات محتوى جديد نتيجة لاستخدام الصناعة والمخترعات العلمية ولنضرب لذلك مثلاً حرية التعبير عن الرأي، فكان يكفي في القرن التاسع عشر أن ينص الدستور على حق كل فرد في التعبير عن آرائه وأفكاره بالشكل الذي يراه مناسباً لكي تتحقق هذه الحرية فعلاً. اما في الوقت الحاضر فقد أصبح هذا الحق لا يكفي وحده للتعبير عن الرأي وإنما يجب توفير الضمانات المادية لذلك. إذ أن وسائل الإعلام والاتصال ودور النشر قد أصبحت مشاريع أقتصادية وصناعية وعلى جانب كبير من الضخامة والتعقيد بحيث تتجاوز إمكانات الفرد، وعليه فأن حرية التعبير عن الرأي بشكلها القديم لم يعد لها وجود في العصر الحديث.

الصراع السياسي:

لقد كان من الأمور التي عالجها الدكتور صادق في قضية أثر التقدم التقني في الحياة السياسية هو موضوع الصراع السياسي.

فهو يرى ان التقدم التقني يقلل من حدّة الصراع السياسي بين القوى الاجتماعية وذلك لأنه يساعد على زيادة الانتاج ويقضي على العوز الذي هو من أهم مصادر المنازعات في المجتمع. والعوز أيضاً يولد التفاوت المريع بين الأفراد فيخلق أقلية ضئيلة تتمتع بالرفاه والأمتيازات في حين تبقى الجماهير الواسعة في حرمان وفقر مدقع، ويولد هذا التفاوت من دون شك صراعاً عميقاً بين الفئتين وتصبح السياسة والحالة هذه عنفاً من جانب الجماهير وهي في حالة ثورة مزمنة، وعنفاً من جانب المتمتعين بالأمتيازات الذين يحمون أنفسهم من الجماهير.

وفرة الموارد والتفاوت الاجتماعي:

والواقع أن وفرة الموارد الطبيعية التي يحققها التقدم التقني لا تزيل التفاوت الاجتماعي بين الافراد وإنما تساعد فقط على تقريب مستويات المعيشة بينهم. إذ أن ارتفاع مستوى المعيشة بصورة عامة وأزدياد الرخاء ووسائل الراحة وأتساع أوقات الفراغ التي تميّز الوفرة الاقتصادية المتأتية عن التقدم التقني تميل الى التقليل من أهمية التفاوت والصراع الناجمين عنها وبتعبير أدق تقلل من الاحساس بالتفاوت.

مجتمع بلا صراع:

يتفق المفكرون الماركسيون والغربيون على ان التقدم التقني في المدى البعيد بإمكانه أن يؤدي الى مجتمع بلا صراع. هذا المجتمع بالنسبة الى العرب هو "مجتمع الوفرة" وبالنسبة للماركسيين هو المجتمع الشيوعي، غير أن هذين الاتجاهين يختلفان بعد ذلك في ما يتعلق بسرعة التقليل من

الصراع في المجتمع.

فالماركسيون يرون أن التقـدم التقـني لا يمكن أن يؤدي الى زوال الصراع تماماً وبصورة عفوية لان التناقـضات الاجتماعية مصدر الصراع تظل قائمة في مكان آخر هو مجال التناقـض بـين مالكي وسـائل الانتاج (الرأسماليين) وأولئك الذين يبيعون جهدهم لهم لكي يعيشوا وهم طبقة العمال ونتيجة ذلك الصراع سيرفع طبقة البروليتاريا الى الحكم لكي تبـني مجتمعاً بلا طبقات. وهذه النظرية أخفقت في السنوات الاخيرة ولم يتحقـق المجتمع الذي تنعدم فيه الطبقات، وعاد المجتمع الذي كان يؤمن بـالأمس بـالنظرية اللينينية ــ الماركسية ويطبقها أصبح مجتمعاً طبقياً حـل محـل الدكتاتورية البروليتارية التي سعى الى تطبيقها سياسيون آمنوا بـها زمناً طويلاً. هذا إذا نظرنا الى أن الثورة العلمية والتقنية الجديدة قـد طرحـتا كثيراً من المفاهيم الماركسية التقليدية للمناقشة من جديد وكانت النتائج التي ذكرناها.

يرى المفكرون الغربيون ان الصراع سوف يزول تدريجاً بـتطور التقدم التقني وذلك بالقضاء على اهم مصادره، أي العوز ويتحقـق ذلك كلما قطع المجتمع شوطاً نحو مجتمع الوفرة.

فالتقدم التقني هو عنصر مهم في مصير الانسان، ولذلك يصح القول بأن: "قليلاً من التقنية يبعدنا عن الانسان، وأن كثيراً من التقنية يمكن أن يعيدنا اليه..."، وهذا ما عبر عنه "روجيه غارودي" في كتابه (منعطف الاشتراكية الكبير).

دعائم التنظيم الاجتماعي:

المجتمعات الحديثة قائمة على بواعث تنظيمية تأخذ شكل قـوالب للسلوك الاجتماعي، أي أن تنظيم المجتمع قائم على قواعد موضوعية عامة. وعليه فأن الدكتور صادق يرى أن يقوم التنظيم الاجتماعي على دعائم ثلاث

هي: التمييز بين المركز ومن يشغله أولاً، وتوزيع السلطة على نحـو هرمي ثانياً، ثم توزيع العمل أفقياً على أفراد المجتمع بشـكل وظائف ومهارات فنية مختلفة ثالثاً.

وهذه المؤسسات الاجتماعية (من وجهة نظره) قائمة أساسـاً على تجميع الأدوار الاجتماعية المختلفة التي يقـوم بـها الفرد، غير ان هذه المؤسسات لا تقوم في المجتمعات الحديثة على الاتصال المباشـر أي على الروابط الشخصية، وإنما الوسائل التقـنية بـمختلف أنواعها هي التي تكوّن هيكلها. أما محتواها فهم الأفراد وعليه فأن الفرد محكوم عليه بالخضوع التام الى تحكّم الوسائل التقنية طيلة حـياته سـواء أكان ذلك في داخل المنظمات الرسمية أم في المؤسسات الاجتماعية غير الرسمية، بل حتى اوقـات فراغه لن تكون بمنأى عن تأثير الوسائل التقنية كالسينما والمسرح والإذاعة والتلفاز والصحف.

الوسائل التقنية وتأثيرها في طبيعة السياسة:

كان التأثير عميقاً بحيث أن المشـاكل السياسـية أخذت في العصر الحديث مضموناً وشكلاً جديدين، ويمكن ملاحظة هذه التغييرات على صعيد دولي أولاً ثم على صعيد وطني. فعلى الصعيد الدولي يرى الدكتور صـادق أنها جعلت من العالم قرية صغيرة فلم تعد المسافات عقبات تقف حـائلاً دون أتصال الشعوب بعضها ببـعض . فأوجد التقـدم التقـني الحـديث مصالح مترابطة في جميع المجالات اقتصادية وثقافية وسياسية، وهذا الترابـط هو الذي دفع الى الامام بشكل ضرورة ملّحة مشكلة التنسيق بـين مصالح الدول المختلفة. فقام على اساسها التنظيم الدولي وتغيرت تبعاً لذلك المفاهيم القديمة في العلاقات الدولية والدبلوماسية فأنحسر مفهوم السـيادة المطلقـة للدولة لحساب المنظمات الدولية وصلاحياتها التي تتوسع يوماً بعد يوم.

وفضلا على ذلك فإن الثورة التقنية الحديثة قد أوجدت مشاكل لم تكن معروفة من قبل كمشكلة الطاقة النووية وكيفية السيطرة عليها ومشكلة السيطرة على الفضاء وما رافقها من قضايا سميت بحرب النجوم ومشكلة الافادة من الثروات الموجودة في أعماق البحار وكيفية تنظيمها دولياً وغير ذلك من المشاكل الجديدة في الحياة السياسية الدولية.

اما على الصعيد الوطني فقد تجلت في بروز ظاهرة التقنوقراطية (على حد رأيه) فأن الاختراعات التي قدمتها الثورة الصناعية جعلت كثيراً من المفكرين يتأملون دور أولئك الرجال الذين يديرونها في المجتمع. فما دام المجتمع الحديث تتحكم فيه التقانة (التكنولوجيا) أو الصناعة فلا مناص من أن يسهم رجالها بالسلطة وبذلك عدّ المفكرون السياسيون بأن المهندس الخبير أفضل من غيره من أبناء المجتمع وقد أيد كثير من الباحثين إعطاء العلماء والتقنيين مكانة متميزة في الدولة وسمحوا لهم بممارسة السلطة في مجتمعاتهم وان يتحكموا في مصادر القوة الاساسية في المجتمعات الحديثة، وأن هؤلاء العلماء لا يسعون الى الاستيلاء على السلطة ولا يؤثرون فيها بعض الاحيان الا بمعرض مشاكل انسانية، وأن هؤلاء التقنيين يسندون السلطة السياسية التي تتولى عادة إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية على وفق أحدث الوسائل التقنية كالتخطيط والمالية والإعلام وهي التي تأخذ على عاتقها تحقيق الانجازات الكبرى في المجتمع كالتصنيع والتعمير .... الخ. ويحدد الدكتور صادق الأسود مجال التعاون بين التكنوقراط والسلطة السياسية الذي يختلف بأختلاف الظروف والمسائل المطروحة.

الرأي العام

الرأي العام ظاهرة اجتماعية وقوة سياسية:

يكاد الدكتور صادق الأسود يكون من أوسع الذين كتبوا عن هذا المصطلح الحديث في الفكر السياسي المعاصر بين جميع فلاسفة السياسة المحدثين.

ففي كتاب أقرّ تدريسه في الجامعات العراقية كتب عن الرأي العام على أنه ظاهرة اجتماعية وقوة سياسية، استقرأ آراءه فيه من آراء أساطين علماء السياسة وفلاسفتها في العالم امثال: "والترلبمان" و"دايسي" و"لورنس لول" و"جيمس برايس" وغيرهم، فضلا على آراء الفلاسفة والعلماء العرب أمثال: "أحمد سويلم العمري" و"حسنين عبد القادر" و"فؤاد دياب" وغيرهم. والمعروف أن قسم السياسة قد عني منذ تأسيسه في مطلع الستينات وكلية العلوم السياسية في جامعة بغداد وجامعة صدام وأقسام أخرى في كليات أخرى كالإعلام في كلية الأداب قد عنيا في ما بعد بتدريس مادة الرأي العام، وقد كان للدكتور صادق الدور الفاعل في تنشيط تدريس هذه المادة الحيوية بالنسبة للعلوم السياسية.

ماذا نعني بالراي العام؟

يرى الدكتور صادق الأسود أنه لا يوجد تعريف محدود للرأي العام يمكن أن يكون مقبولاً لدى جميع المعنيين بهذا الموضوع وحتى بين المختصين بعلم السياسة ومع أن الاشارات الى الرأي العام كانت ترد في كتابات كثيرة من كتّاب ومفكري السياسة منذ عهود قديمة وبخاصة لدى كل من "أفلاطون" و"أرسطو" و"ميكيافيللي" و"لولسو" و"مونتسكيو" و"روسو" إلا أن "جاك نيكر" وزير مالية فرنسا كان أول من أبان عن الرأي العام كقوة سياسية في نهاية القرن الثامن عشر، ومنذ ذلك العهد أصبحت عبارة الرأي العام منتشرة على نطاق واسع في الديموقراطيات الغربية، سواء في أعمال

المؤلفين وكتّاب السياسة أم على لسان السياسيين، وبالرغم من ذلك فمن المهم ان نلاحظ أن معنى العبارة كان يختلف دائماً من مؤلف الى آخر، عاكساً بذلك التوجه الفكري للكاتب وكذلك السياق التاريخي لعمله.

وفي الوقت الحاضر يرى الدكتور صادق وجود اتجاهين رئيسيين ومختلفين الى حد كبير أزاء الرأي العام:

الأول: هو الاتجاه التقليدي الذي ساد في القرن التاسع عشر وفي الربع الأول من القرن العشرين.

الثاني: وهو حديث يستند في تعريف الرأي العام الى الدراسات الميدانية.

تقسيمه الرأي العام:

وحين طرح عليه سؤال مفاده: لقد قسمت الرأي العام في بعض دراساتك تقسيماً جغرافياً فرأي عام محلي وآخر وطني ثم قومي ثم أقليمي ودولي وأخيراً عالمي، بوصف أن تلك الوحدات الجغرافية ليست هنا هي العامل الوحيد في تكوين الرأي العام وإنما هي الوعاء المادي الذي يحتوي على عوامل أجتماعية وأقتصادية وثقافية تتفاعل في ما بينها وتبعث الى الوجود ظاهرة الرأي العام. فهل بالأمكان توضيح المقصود من هذا التقسيم؟ أجاب عن ذلك بقوله:

أقصد بالرأي العام المحلي هو الذي يتكون في منطقة معينة من البلاد، لها خصائصها الذاتية التي تميزها من غيرها من المناطق الأخرى، وهذا النوع من الرأي العام يتكون بسبب كون القضايا التي تطرح نفسها لا تعني غير سكان المنطقة أو تعنيهم بالدرجة الأولى.

أما الرأي العام الوطني وهو الذي يتكون في حدود دولة معينة وبمعرض القضايا العامة التي تعرض على الشعب فيها، وفي الواقع عندما يتكلم عن الرأي العام غالباً ما ينصرف الذهن الى الرأي العام الوطني

بالمعنى المذكور، وذلك لأنه يتعلق بالنظام السياسي من ناحية والشعب من ناحية أخرى الذي هو مصدر السلطة وشرعيتها. والرأي العام في هذا الشأن هو قوة سياسية حيناً وقوة معنوية حيناً آخر، وذلك بحسب النظم السياسية التي تسعى الى التعامل مع الراي العام بصيغة أو بأخرى لغرض اشراكه في تسيير الشؤون العامة وكذلك تسيير شؤون الدولة وكيفية تحقيق المصلحة العامة. ومن ناحية أخرى قد تتعامل معه كونه قوة سياسية في تسيير شؤون المجتمع السياسية والأجتماعية والأقتصادية وبصورة مباشرة.

أما الرأي العام الاقليمي وهو الذي يتكون بين شعوب منطقة محددة من العالم وبغضّ النظر عن الحدود التي تفصل بين بلدان المنطقة ومثال ذلك الراي العام الأوربي والرأي العام الأفريقي والرأي العام في أمريكا اللاتينية وغيرها. وفي كل هذه الحالات يؤدي الأقليم الجغرافي دوراً أساسياً ولكنه ليس العامل الوحيد في تكوين الرأي العام، إذ هناك مصالح مشتركة وقيم وأنماط من التفكير المتماثلة التي تدفع الى التفاعل بين شعوب وأمم المنطقة في ما هو لمصلحة الجميع.

فالرأي العام على هذه الشاكلة هو نتاج عملية التلاحم واندماج تمت خلال زمن طويل نسبياً قد تتجسد لا في الروابط فحسب وانما ايضاً في مؤسسات مشتركة تقوم بنشاطات مختلفة.

أما الراي العام الدولي فهو ليس كما يبدو حاصل جمع الآراء العامة في بلدان العالم المختلفة أنما هو بالاحرى ظاهرة جمعية تنبعث عن وحدة انسانية واجتماعية أكبر من الوحدة الوطنية بأبعادها وخصائصها الذاتية. فالرأي العام الدولي ليس رأي الحكومات وانما هو أيضاً رأي المواطنين في بلدان العالم المختلفة ولذلك قد ينضمّ الرأي العام بكليته في بلد معين الى تكوين الرأي العام الدولي بشأن قضية معينة في حين لا يدخل إلا جزء ضئيل منه عندما نعرض قضايا أخرى. وبالمقابل فأن الرأي العام قد يكون منسجماً

مع اتجاه حكومة البلاد ولكن ذلك لا يكون بحـــكم الضرورة إذ قـــد يعرضها بشأن مواقفها إزاء القضايا الدولية.

القوة السياسية والقوة المعنوية للرأي العام:

ويحدد الدكتور صادق الشـــروط العملية لتكوين الرأي العام الدولي ثم يتساءل بعد ذلك هل الرأي العام الدولي قوة سياســـية ؟ ام قـــوة معنوية ؟ فهو يرى أن للرأي العام قوة لا يمكن لأحد أن يتجاهلها ولكن ما يطرح نفســـه بهذا الصدد ، هو ما الوسائل التي يملكها الرأي العام الدولي لفرض مشيئته ؟ فلا يمكن الادعاء بأن الرأي العام فاقـــد لكل تأثير تماماً ــ على حـــد قـــول اسماعيل صبري مقلد في كتابه العلاقات السياسية الدولية ــ إلا أن فاعلية هذا التأثير ومداه يختلفان بحسب الظروف والوقـــائع الدولية، فبـــينما يظهر في بعضها بصورة ايجابية وحاسمة فأنه يظهر في بعضها الآخر بشـــكل اقـــل إيجابية، وليس هناك من دولة في العالم بالغاً ما كان من قـــوتها تســـتطيع أن تتجاهل الرأي العام العالمي تماماً بل أن الدول تحاول أن تقـــوم بتفســـيرات وتسويغات لسياستها بغية اقناع الرأي العام بها، وتفادياً لما قـــد يجلبـــه عليها عدم امتناعه من معارضة.

الرأي العام تاريخياً:

عرفت المجتمعات القـــديمة ظاهرة الرأي العام، فمنذ عهد الاغريق والرومان وحتى عهد ما قبل الاسلام وبعد بزوغ فجر الاسلام وحتى القرنين المتأخرين التي استطاع خلالهما العلماء من صياغة هذه الظاهرة وبـــلورتها في نظرية سياسية، توسع الحركات الشعبية التي طالبت باسهامها على نطاق اوسع في حكومة الدولة القائمة على اساس الأمة، فبدأت الدراسات المنهجية المنظمة التي تناولت موضوع الرأي العام بمختلف جوانبه وأدواره في الحياة العامة مع التوجه لدراســـة هذه الظاهرة في المجتمعات القـــديمة. فالأغريق أهتموا بها وعنوا بدراستها لكثر من غيرهم لأنها كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً

بالديموقراطية التي تقوم على اساس تكوين أفراد الشعب رايا لهم ومن ثم مشاركتهم في إدارة دفة الامور السياسية مما حدا بأرسطو لأن يشيد بكفاءة الجماهير السياسية. وهذا التأكيد على اهمية رأي المواطن نابع من طبيعة الحياة الفكرية السائدة في مجتمعهم التي تؤكد الادراك العقلي لظواهر الطبيعة والمجتمع والصلات التي تربط بينهما. وهذه النزعة العقلية هي التي هيأتهم لمقاومة الارستقراطية وأعطت المواطن الحق في إدارة شؤون المجتمع والدولة من خلال احترام الرأي.

اما الرومان فأكدوا الرأي العام وأشاروا الى (صوت الشعب) وظهرت في أيامهم حركة دينامية ولدت عملية تكوين الرأي العام بصورة متواصلة.

الرأي العام في العهود الاسلامية:

في هذا الصدد رأى الدكتور صادق الأسود ان عملية تكوين الرأي العام في هذه الحقب اختلفت نوعاً ما عما هي عليه لدى الاغريق والرومان فقد أطلق الاسلام منذ عهد الرسول — عليه الصلاة والسلام — الحرية في تكوين الرأي بشأنها ضمن الاطار العام الاسلامي وفي هذا السياق ينتظم الاجماع الذي هو أحد أدلة الاحكام في الشريعة الاسلامية وكذلك العرف القديم، وتبرز الشورى واستطلاع ذوي الأمر. وموضوع تكوين الرأي العام بمعزل عن تأثير السلطة أو الحكام كما في قول الرسول (ص): "ما شقي قط عبد بمشورة، وما سعد باستغناء رأي". وكما يظهر في قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب — رض — في قوله: "إذا رأيتم فيّ أعوجاجاً فقوموني" فلما قيل له "إذا رأينا فيك أعوجاجاً قومناه بالسيف" رد: "الحمد لله الذي جعل في الأمة من يقوّم أعوجاج عمر بالسيف". كما ان الاسلام نهى عن ان يكون الانسان إمعة أي لا رأي له، كما اكد الاسلام فكرة (قادة الرأي) التي ظهرت في ما بعد في أوربا في القرن العشرين والذين أطلق عليهم الفقهاء بأهل الحل والعقد وأشار اليهم القران الكريم قبل أكثر من اربعة عشر قرناً حيث ورد في

قـوله تعالى: "هل يسـتوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"، كذلك فكرة (عصمة الرأي العام من الوقوع في الخطأ) التي ظهرت في أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أعمال "روسـو" و"جيرمي بـنثام" و"جيمس ستيوارت مل" وغيرهم فقد سبقهم الاسلام في ذلك حـيث جاء في الحـديث الشـريف: "لا تجتمع أمتي على خطأ" و"ان الله تعالى لا يجمع امتي على ضلالة ويد الله مع الجماعة"[1].

وفي العصر الوسيط في أوربا ورد تعبـير الرأي العام في بـعض الكتابات اللاتينية الكلاسيكية ولكن هذا التعبير لم ينطو على المفهوم الحديث للرأي العام وأنما كان يدل على الاتفاق أو الاجماع العام الذي كـان يتداولـه فقهاء القانون الروماني. وشاعت بعض التعابير والمصطلحـات مثل صوت الشـعب هو صوت الله، حـيث عدّوا صوت الشـعب هو الدال على رأي المواطنين الراغبين في التأثير في الأمور العامة.

ويؤكد الدكتور صادق ان منطلق بـروز الرأي العام الحـديث هو القرن الخامس عشر عندما توافرت عوامل مادية ومعنوية لتكوينه منها بروز الدولة القـومية القـائمة على اسـاس الأمة وظهور الثورة الصناعية وما صاحبها من حركات سياسية بين القوى الصاعدة والمحافظة والصراع الذي خاضته الجماهير في القرون الثلاثة: السابع عشر والثامن عشـر والتاسـع عشـر التي كانت تتطلب سلاحـاً فكرياً، هذا السـلاح قـدمته النظرية الديموقراطية التي وفرت مناخاً ملائماً لانطلاق الراي العام.

ففي القرنين السابع عشر والثامن عشـر وهو عصر التنوير شـهد مرحلة التحول من أفكار ما وراء الطبيعة الى سلطة العقل، فأصبحـت آراء الفرد ذات أهمية في الحياة العامة وعندئذ شرع المنظرون يفحـصون عملية تكوين الرأي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسـية. فانطلقـت

---

[1] يبدو ان هذه الاحاديث من وجادته (محفوظاته) إذ لم يشر الى مصادرها. (المؤلف)

دراسات عديدة مكرسة لتحـليل العناصر التقـدمية الصاعدة في مجتمعات تجرى فيها تحولات جذرية في طبيعتها وأبعادها.

ظهرت في فرنسـا كتب "باسـكال" و"فولتير" وفي انكلترة "توماس هوبز" الذي اخضع الرأي العام الى دراسة منهجية وأقر بـوجود الرأي العام كظاهرة. وظهر "جون لوك" الذي عد الرأي العام ظاهرة اجتماعية قـائمة بذاتها وهي أكثر أرتباطاً بالجماهير، واستمرت الدراسات بشأن الرأي العام حتى القرن العشرين حـينما دخلت عناصر جديدة في تكوين الرأي العام في أعقاب الحرب العالمية الثانية فكرست لها دراسات خاصة مثل دراسة العامل الشخصي، وعوامل البيئة الاجتماعية والاسـتعداد المسبـق لتقبـل التأثير الاعلامي. كما طرح أيضاً موضوع قـادة الرأي ودورهم في تكوين الرأي العام وتأثير المركز في آراء الأفراد والخصائص الفردية والبواعث والطباع الى غيرها من العوامل الأخرى التي تتعلق بظاهرة الرأي العام.

مفهوم الرأي العام عنده:

في مجال الدراسات الإعلامية لقـي موضوع القـيادة السياسـية وتأثيرها في الرأي العام أهتماماً كبـيراً من لدن الباحـــثين من أمثال "بوكاردوس" و"لي بون" ذلك أن القائد الحقيقي هو رمز لامال الشـعب وهو الذي يستمد قوته من فهمه رغبات الناس ومطالبهم، كما انه يبـلور أتجاهات الرأي العام ويمثلها ويفصح عنها، فكيف عرّف الدكتور صادق الاسود الرأي العام ؟

لقـد تحـدث عنه كظاهرة أجتماعية أي أنه أحـد مظاهر الحـياة المشتركة للإنسان في المجتمع. فغالبـاً ما اسـتخدم تعبـير الرأي العام في الحـياة اليومية رجال الدولة والسياسـيون ورجال الصحـــافة والإعلام فضلاً عن المواطن العادي من دون ادراك حقيقي لطبيعته وأبعاده وقـوته، الأمر الذي يوحـي أن الرأي العام كائن خارق للطبـيعة يفرض أحـــكامه المعصومة عن الخطأ على الشؤون العامة.

والرأي العام كظاهرة اجتماعية يعدّها الدكتور صادق بـأنها مظهر من مظاهر الحياة المشتركة للإنسان في المجتمع.

وإذا سألناه هل الرأي العام في المجتمع الصناعي يختلف من ناحية طبيعته وتكوينه وقوته عنه في المجتمع الزراعي؟

لأجاب: بـنعم، ذلك لأن الرأي العام في الدولة المتقـدمة صناعياً يخضع في تكوينه وفي الدور الذي يقـوم بـه في الحـياة العامة الى عوامل ومؤثرات المجتمع الصناعي التي تختلف عن البلدان الأقـل تطوراً، والرأي العام في المجتمع الرأسـمالي يتكون ويؤثر بشـكل يختلف عنه في النظام الاشتراكي وذلك لأن المشـاكل التي تطرح في البـلدان المختلفة تثير آراء مختلفة أيضاً تستقطب حولها وتتفاعل ثم تتصاعد كظاهرة عامة.

س: هل للتقدم التقني من أثر في صياغة الرأي العام او في التعبير عنه؟

ج: بالتأكيد يؤثر لا محـالة الى اختلاف الدور الذي يؤديه في صياغة الرأي العام أو في تحريكه أو التعبير عنه فضلاً عن أن تاريخ البلد ونضاله يدفع الى الوجود مؤثرات فعالة للتحـكم في ظاهرة الرأي العام وعليه إذا كان الرأي العام ينشأ ويتطور في وسط اجتماعي له طبيعته وأطره التأسيسـية فأنه يظل بلا ريب مرتبطاً به ويحمل خصائصه الذاتية المميزة له.

كيف يتجسد الرأي العام في المجتمع:

مما لا شـك فيه أن الرأي العام أكثر تأثيراً في النظم الديمقـراطية حيث يوصف بـ(سيد المشرعين وأقوى المستبدين)، وهو ــ حديثاً ــ أكبـر قوة منه قديماً. وإذا سألناه عن كيفية تبلور الرأي العام في مجتمع ما؟ نجد لدى الدكتور صادق الأسود جواباً شافياً عن ذلك، فهو يرى أن الرأي العام ظاهرة اجتماعية عامة وغير منظمة لها خصائصها الذاتية وقوانينها الخاصة بها.

هل الرأي العام مجموعة آراء فردية؟

يجيب الدكتور صادق بـــالنفي، فهو ليس مجموع آراء فردية وإنما هو نتاج تفاعل الآراء المختلفة للأفراد والجماعات. فالرأي العـــام ظاهرة تنبثق عن الحياة المشتركة في المجتمع وتظل مرتبطة بـــها ارتبـــاطاً وثيقاً وبحكم أختلاف المجتمعات فأن عملية تكون الرأي العام لا تجري على نحو مماثل في كل مكان. وانما تتنوع تبعاً للإطار السوسيولوجي الذي تحدث فيه. فيجب التمييز بين حال المجتمعات الريفية والتقليدية والمجتمعات الصناعية الحـــديثة وبـــين الجماعات الأولية ومجتمعات الجماهير. فأن المجتمعات الريفية تتميز في الواقـــع بقـــلة عدد أفرادها وبـــضعف التمايز في الأدوار باستثناء التمايز من ناحية الســـن والجنس وتتميز كذلك بالطابـــع الشـــامل والشخصي للعلاقات بين الأفراد وبـــالضغط الاجتماعي الجماعي وبـــأهمية التقاليد. ففي المجتمع الصناعي الأحوال تختلف إذ يتسم بكثافة سكانية وفيرة وبتمايز متقـــدم جداً وبعلاقـــات تجزيئية ووظيفية بـــين الأفراد الذين يجرى الأتصال بينهم بأدوارهم المتخصصة وليس بصفتهم أشخاصاً وفي الوقـــت نفسه فأن الديمقراطية السياسية والفلسفية تجعل لكل فرد التزاماً وتمنحه حقاً في الوقت ذاته في التصويت على جميع مشـــاكل المجتمع، وحـــيث أن هذه المشاكل عديدة الى حد لا يمكن قياســـه وتتجاوز الى حـــد بـــعيد التجربـــة الشخصية للفرد، فأن القيم التقليدية تنهار وعندئذ يجد الفرد نفســـه في وضع يحتم عليه أن يكوّن رأياً له وهو منعزل عن الآخرين.

وإذا تساءلنا: هل يتكون الرأي العام بمجرد توافر المادة الإعلامية؟

لأجاب: بأن ذلك كان شائعاً في الماضي ولذلك كانت حرية التعبير عن الرأي المطلب الأول طيلة القرن التاسع عشر وخلال عقود السنين الأول من القرن العشرين. غير أن دراســـات عديدة دللت في ما بـــعد على أن عمليات تكوين الرأي العام هي أكثر تعقـــيدا مما تبـــدو في الظاهر لأن جميع الأفراد في المجتمع لا يتناقشـــون مع جميع أفراد المجتمع، وانما بـــث المادة الإعلامية

والإحاطة علماً بالأحداث التي تروي عنها إن هما إلا المادة الأولية التي تصب في الوعاء الاجتماعي، فستثير فيه عناصر عديدة ومتنوعة تتفاعل بينها ومن ثم تبعث الى الوجود هذه الظاهرة الجمعية التي نسميها (الرأي العام).

نكسب الشباب لنضمن المستقبل:

لقد حرصت حكومة ثورة السابع عشر من تموز ــ الثلاثين منه على تبني هذا الشعار منذ قيامها الى اليوم إيماناً بأن التنشئة الاجتماعية السياسية في آفاقها العامة تنمو وتتكيف مع النظام السياسي القائم. وقد بحث الدكتور صادق هذه الناحية وكتب عنها كثيراً وخلص الى أنه يصعب كثيراً معرفة السن التي يبدأ فيها الطفل بإدراك عالم السياسة إذ أن ذلك يختلف من طفل الى آخر ومن وسط عائلي الى آخر فضلاً عن أختلاف المجتمعات التي تفرز نظماً سياسية مختلفة ومع ذلك فأن الدراسات التي اجريت على عالم الأطفال في هذا الشأن دلت على انه قد يبدأ عند بعض الأطفال في سنَ الثالثة بشكل أولي ويأخذ الى حد ما شكلاً مستقيماً في سن السابعة. والتعليم السياسي في هذه المرحلة المبكرة من حياته يتطور من السهل الى المركب ومن شخص الى المؤسس، فغالباً ما يربط الأطفال الحكومة بالمسؤولين. وقد دلت الدراسات الحديثة التي قام بها العلماء ان معرفة الطفل بالسياسة تتطور من السهل الى المركب ومن المفاهيم المحدودة الى المفاهيم الواسعة الاجتماعية السياسية تنطوي على تطور واضح وتدريجي ومنظم أو سلاسل واسعة من حلقات مركزة في تطور الإدراك السياسي للطفل. وعندما يكبر الأطفال يصبحون مدركين أن مختلف الأفراد والجماعات يقومون بدور في العملية السياسية.

الأسرة والتنشئة الاجتماعية للطفل:

يقرر الدكتور صادق أن الأسرة هي التي تقــوم بــالدور الأول في التنشــئة الاجتماعية للأطفال. فالطفل في مطلع حياته يكون أكثر تقبلاً و أكثر استجابة أيضاً لأنه يتشرب قيم الوسط العائلي و أسلوبه في الحياة ويتحقــق لدى الطفل في هذه المرحــلة اكتشــافه ذاته وكذلك العالم الخارجي و اكتسابــه الوعي بشخصه الذي يبدأ بالنمو و التميز، ويستدل كذلك على الأشياء و الأشــخاص الكبار الذين يحيطون به. يحدث كل ذلك عندما يأخذه الشعور بــالأندماج في العائلة كأحــد أعضائها، الأمر الذي يعني اكتسابــــه المعطيات الأولية في أخلاقياتها وثقافتها.

إن تقدم الطفل في العمر يجعله يدرك شــيئاً فشــيئاً عناصر النظام السياسي وتأثير الوسط العائلي في ذلك بــين المعالم ويأتي في مقــدمة ذلك الميول الحزبية لدى الأطفال، فأنهم على الأغلب ينحازون الى الحزب نفسه الذي يرتبط به ذووهم بصورة مباشــرة أو غير مباشــرة، ومع ذلك فأن هذا الجانب من التنشئة الاجتماعية السياسية مشروط اجتماعياً ويختلف من بــلد الى آخر.

وأن المدرسة تقــوم بــدور بــارز رئيس في التنشــئة الاجتماعية السياســية الى جانب العائلة و الوســط الاجتماعي. وأن ما يتعلمه الطفل في المدرسة يســاعد على تنمية وتطوير المشــاعر الوطنية وأكتســاب الوعي الوطني و القومي وذلك من خلال الدروس و الكتب و المحــاضرات و الندوات مما تزيد في وعي وإدراك الطفل وبــــالأخير تنعكس على مجمل تفكيره السياسي. وقد انتبهت معظم دول العالم الى هذا الجانب التربوي الاجتماعي فعملت على انتقــاء الموضوعات الدراســية التي تركز على تاريخ الأمة المشرق وماضيها الزاهر وتجاوز الجوانب السلبية منها التي تحمل شحنات انفعالية قد تثير حساسيات معينة بين صفوف الشعب الواحد و الأمة الواحدة.

علم النفس السياسي

سبق أن ذكرنا في مدخل الكتاب أن الدكتور صادق الأسود قد تفرّد في بحث ميدان من ميادين علم النفس لم يبحثها علماء النفس السابقون له ذلك، هو علم النفس السياسي فقد اطلعت على كتابين مخطوطين كان قـد انجزهما الراحل ولم يطبعهما، يبحثان في ميدان علم النفس السياسي الذي يعدّ الدكتور صادق رائداً من رواده.

فالكتاب الأول الموسوم بـ(علم النفس السياسي) يتضمن ما يأتي:

- المقدمة.
- الفصل الأول: تعريف علم النفس السياسي.
- الفصل الثاني: نشوء وتطور علم النفس السياسي.
- الفصل الثالث: رواد علم النفس السياسي واسهامات علماء النفس.
- الفصل الرابع: الرواد من علماء السياسة.
- الفصل الخامس: المنهجية في علم النفس السياسي.
- الفصل السادس: تأثير تكوين الشخصية في السلوك السياسي.
- الفصل السابع: تأثير القيم في السلوك السياسي.
- الفصل الثامن: دوافع العمل السياسي.

ويختتم الكتاب بقائمة المصادر معظمها بـاللغة الفرنسـية. مجموع اوراق الكتاب ١٤٥ ورقة.

بسكيولوجيا السلوك السياسي أو الدوافع النفسية للأتجاهات والمواقف السياسية:

يتضمن الكتاب المخطوط هذا ما يأتي:

- الفصل الأول: الطبيعة الانسانية والسياسية.
- الفصل الثاني: الشخصية والسياسة.

- الفصل الثالث: انماط الشخصية و الطباع و الأمزجة.
- الفصل الرابع: الدوافع و الحاجات الانسانية للإنسان (الدافعية الاجتماعية)
- الفصل الخامس: دوافع العمل السياسي (النزعة السياسية).
- الفصل السادس: المشاركة السياسية.
- الفصل السابع: الاتجاهات السياسية.

التاريخ وعلم السياسة

توطئة:

حاول الدكتور صادق الأسود جاهداً إشخاص علم السياسة واعطاءه صفة فيها كثير من الشمولية عندما عقد صلات كثيرة بينه وبين علم الاجتماع، ثم بينه وبين التاريخ بشكل أعم.

وإذا أستقرءنا رأيه في ماهية التاريخ، وجدنا انه يرى ان التاريخ لم يعد دراسة الماضي وإنما هو علم للأشخاص في الزمان او بعبارة اخرى أن كل شيء هو تاريخ. ما قيل أمس هو تاريخ وما قيل قبل هنيهة هو تاريخ — على حد قول "ليفي شتراوس" — .

وقد أتسع نطاق موضوع التاريخ حتى غدا يشمل مظاهر الحياة الماضية بأجمعها. فلقد تبين للمؤرخين في الآونة الأخيرة بصورة تشتد وضوحاً يوماً بعد يوم، أن الأحداث السياسية والوقائع الحربية التي كان ينصرف اليها أغلب اهتمام المؤرخين في العصور السالفة لا تحيط بالحياة الماضية بل لا تنفذ الى جوهرها فهي ليست إلا وجهاً من وجوهها و لا تكون في احيان كثيرة اهم هذه الوجوه، فلا بد للمؤرخ إذاً من أن يعنى بالأحداث الاقتصادية والاجتماعية والعقلية والادبية والخلقية وسواها من مظاهر الحياة الانسانية، ليأتي فهمه للماضي شاملاً متزناً محللاً عناصره المختلفة في مواضيعها الصحيحة كما ورد في مقدمة الدكتور قسطنطين زريق لكتاب

(دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية) الذي ألفه "هيوج أتكن" وترجمه الدكتور "محمود زايد".

فالتاريخ إذاً هو سجل الأحداث والحركات الماضية وأسبابها والترابطات الموجودة في ما بينها. ويشتمل التاريخ على التطورات الاقتصادية والدينية والثقافية والاجتماعية ايضاً، وكذلك دراسة الدول ونموها وتنظيمها والعلاقات القائمة في ما بينها.

لقد أخذ الاتجاه الجديد في دراسة التاريخ بتحليل مخلفات الماضي من آثار ووثائق واحداث ونقدها ثم محاولة ربط الوقائع بعضها ببعضها الآخر على وفق منهجية علمية دقيقة، وبذلك حقق صفتي الموضوعية والعلمية في آن واحد. ولم يعد المؤرخ يبحث عن أسباب الأحداث خارجاً عليها بل أخذ ينكب عليها ليفهم العلاقات التي تربطها وليميز الاسباب والنتائج ويستخلص من هذا كله صورة للاتجاهات أو القوانين التي تنتظم بها هذه الأحداث. وقد أكد ذلك الدكتور قسطنطين زريق في مقدمته لكتاب دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية.

العلاقة بين علم السياسة والتاريخ:

بما أن التاريخ هو معرفة الوقائع الماضية في سياقها وترابطها، فهو والحالة هذه قاعدة لا بد منها لعلم السياسة لأن تأملات وبحوث علم السياسة يجب أن تتزود بمعرفة الوقائع التاريخية وفي الأخص السياسية منها.

إن علم السياسة يطلب وقائع حدثت في الماضي، وقائع تتجسد فيها رؤية الاشخاص في الحقبة التاريخية التي عاشوا خلالها، ووقائع تمر خلالها العلاقات في ما بين الحكام والمحكومين. وما يهم علم السياسة في ذلك هي الصورة التي كونها الأشخاص عن أنفسهم وعن جماعتهم ومصيرهم لأن هذه الصورة هي التي تنتشر في طيات الحياة السياسية وتحركها.

ومن الواضح ان علم السياسة لا يمكن ان يعرف إلا ما هو تعميم لتجارب تاريخية غير أن هذا الترابط الوثيق بين علم السياسة والتاريخ جعل بعض الباحثين يعدّ علم السياسة علماً ملحقاً بالتاريخ أو تابعاً له. فمراقبة انظمة الحكم وتطورها وتاريخ المذاهب والأفكار السياسية كلها تؤلف موضوع علم السياسة.

خط الشروع:

لقد حرم علم السياسة، عندما حصر في حدود نوع معين من البحث التاريخي، القيام بدور بنّاء. فقد كان الكتّاب القدامى يلجأون الى التامل بطريقة المقابلة ما بين الفكر السياسي وبين المشاكل الكبرى السائدة في عصرهم. ثم تطور الأمر فأخذوا بدراسة المفكرين السياسيين حسب المرحلة التي يمثلونها في تاريخ الفكر السياسي. ولقد أدى هذا الموضوع بعلماء السياسة الى الأعتقاد بان عليهم ان يصنعوا تاريخياً الظروف التي سمحت ببروز هذه الفكرة السياسية أو تلك. وأن مهمتهم الكبرى في ما يتعلق بالقيم السياسية تنحصر في بحث تلك القيم أو تحليلها.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت المنهجيات التاريخية والمقارنة هي التوجهات المهيمنة على الدراسات السياسية. فقد كان شعار (التاريخ هو السياسة الماضية والسياسة هي التاريخ الحالي) سائداً في أوساط الجيل الأول من علماء السياسة (١٨٨٠ ــ ١٩٠٠) ويأتي في مقدمتهم "جون بورجيس" و"وليم داننك" من جامعة كولومبيا و"البرت بوشنا هارت" من جامعة هارفارد في الولايات المتحدة وغيرهم ممن كانوا يميلون الى التاريخ أكثر من ميلهم الى دراسة الحكومة. فقد شددوا على التطور التاريخي للمؤسسات السياسية بعدّها بؤرة اهتمام على السياسة وسبب ذلك أنهم كانوا ينحون الى الأخذ بعلم شامل للإنسان ويقرون علناً بأن الضرورة تقتضي إقامة الدراسات بشأن تطور أشكال الحكومة على بحوث تاريخية.

وقد كان أغلب هؤلاء الباحـثين قـد جاءوا من ميدان التاريخ وتأثروا كثيراً بالأساتذة الألمان الذين كانت آراؤهم سائدة في القرن التاسع عشر، ولذلك فقد كانوا يؤكدون بشدة أهمية أساليب البحث المشتركة في ما بين مناهج البحـث المختلفة التي تدور بشـأن التاريخ وفضلاً على الموضوعات التي صاغها الاساتذة الألمان والتي هي موضوعات مشـتركة في البحـث وفي الأخص ظروف المعاهد والجامعات في نهاية القرن التاسع عشر، حيث كان الأسـتاذ الواحد مضطراً الى تدريس مادة تتوزع في الوقت الحـاضر بـين عدد من الأساتذة.

وفي مطلع القرن العشرين واجه الجيل الثاني من علماء السياسـة (١٩٠٠ ــ ١٩٢٠-١) أزمة تتعلق بمكانة دراسة الحـكومة في ما بـين العلوم الاجتماعية التي كان التمايز بينها ينمو بـاضطراد. وأول المشـكلات التي طرحت بهذا الشان هي ما إذا كان على طلاب دراسـة الحـكومة ان يكونوا أكاديميين مثلهم مثل طلاب الاقـتصاد والتاريخ، أو يجب أن يستقـروا في منظمات مستقلة وفي الأخص في مكاتب البحـوث التابـعة للحـكومة. أما المشكلة الثانية فهي تمييز علم السياسـة من أعمال المحـامين والمؤرخين وعلماء الاجتماع.

أما بالنسبة الى التاريخ فأن الدكتور صادق الأسـود يرى أن: حـل المشكلة انطوى على ترك التحليل التاريخي لنشوء وتطور المؤسسات جانباً وتأكيد وصف وتقويم المؤسسات القائمة على طريقـة "جيمس بـرايس" في كتابه (الكومنولت الأمريكي).

وحيث أن القـليل من المؤرخين لم يحـاول الكتابـة عن الماضي القريب فإن علم بـذلك يكون قـد انفصل عن التاريخ من دون أزمة منهجية. أما أولئك الذين حاولوا أن يتمسكوا بكلا المنهجين في بحث التاريخ والسياسة فقد كتبوا أما في التاريخ السياسي للماضي القـريب وإما أنهم أنعطفوا نحـو

تاريخ الفكر السياسي، ويرى الدكتور صادق الأسود أن هذا الأجراء لم يكن مرضياً فقد وضعت الافكار السياسية الماضية في إطار التيارات الفكرية المعاصرة ولم يبذل جهد لاسقاط حكمة المنظرّين القدامى. لذلك وجد الباحثون التجريبيون ان النظرية هي أقل فائدة.

الحرب العالمية الأولى واستقلال علم السياسة:

وفي سؤال للدكتور صادق الأسود عن تأثير الحرب العالمية الأولى في أنفصال علم السياسية عن التاريخ ومدى التطور الذي حدث له وأصابه؟

كان جوابه: نعم، أثرت الحرب العالمية في تطور كل العلوم الاجتماعية، إلا أن تأثيرها في علم السياسة كان أقوى وأكبر، الحرب دفعت الحكومة الى القيام بنشاط واسع للأشراف والسيطرة على الصناعة والزراعة والمجتمع والفكر وكان ذلك مصحوباً بالرعب من الدمار والطوفان اللذين حدثا بعد معاهدة "فرساي" الأمر الذي دفع الى إعادة التفكير بصورة جذرية بطبيعة السياسة ومن ثم ظهرت الحاجة الى بحوث وتخطيط وتعاون من أجل حل المشاكل الاجتماعية القائمة. وانهار أيضاً الأعتقاد المتفائل بأن التقدم جاء لا محالة من خلال التطور الاجتماعي التدريجي وعليه فقد بدأ وصف التطور التاريخي للمؤسسات القانونية والحكومية غير ملائم في البحث ولم يعد التاريخ مهماً، لأن مأساة الحرب وفرصة إعادة بناء ما تهدم قد مسخت الماضي وركزت كل الاهتمام على المستقبل، وبرزت الحاجة الى فهم حقيقي للاعقلانية الإنسان (أو الجانب اللاعقلاني في الإنسان) وسلطة الحكومة كأهداف في بحوث علم السياسة. وحيث أن علماء السياسة كانت بهم حاجة الى منهجيات فكرية جديدة في العصر الحديث فقد شددوا على العلم بوصفه مفتاحاً للتخطيط، وعلم النفس بوصفه مفتاحاً لعمل في المنهجية وبطبيعة السلوك الإنساني.

س: كيف عدّت بعض أعمال المؤرخين على أنها عديمة الصلة بعلم السياسة؟

ومن هم دعاة هذه الفكرة ؟

ج: إن الظروف التي زامنت الحرب العالمية الأولى والمشاكل التي أعقبتها حملت بعض علماء السياسة في أوربا الى ان يتحولوا عن التاريخ ويتجهوا الى علم النفس. وكان يدفع بان أعمال المؤرخين لم تعد ذات صلة بعلم السياسة لأن أكثر المؤرخين المعاصرين يجهلون كثيراً من العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية في الشؤون الانسانية ومن هؤلاء العلماء كان "جارلس ويام" أبرز علماء السياسة في الحقبة (١٩٢٠ ـ ١٩٤٠) وقد تدرب على المنهجية التاريخية، ولكنه تحول بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى وما صاحبها وأعقبها من مآس إنسانية الى الأعتقاد بان اعمال "تيرنر" و"بيرد" فقط مما تستحق العناية وعدّ هذين المؤلفين رائدين وحيدين في هذا الشأن. وحيث أن أفضل دراسة بشأن السلطة التشريعية والأنتخابات قام بها مؤرخون قد وفرت تقنياتهم في البحث ثماراً ايجابية للدراسات التي قام بها علماء السياسة.

علم السياسية والعلوم الاجتماعية الأخرى:

إن الجهود التي بدأت خلال حقبة ما بين الحربين لتطوير علم السياسة تبلورت على نحو متميز في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية وفي الأخص في الخمسينات من القرن العشرين، غير أن تأكيد صفة العلم في السياسة وبخاصة في أوساط المنهجيات الكم الذي كان له ولا ريب تأثير كبير في تمييز علم السياسة من العلوم الاجتماعية الأخرى وبضمنها التاريخ، ذهبت بعيداً في تجاهل أهمية القيم النظرية السياسية فما دامت بحوثها تجريبية فانها لا يمكن أن تتجاوز الواقع الراهن ومن ثم فأن تعميماتها (أو قوانين علم السياسة) تظل أسيرة معطيات الحاضر فحسب في حين أن الحاضر هو امتداد للماضي ونقطة انطلاق المستقبل ويحكم سياق الأحداث وفي الأخص السياسية منها قوانين موضوعية تتحكم في الظاهرة السياسية

بصورة متواصلة. إن أية حقبة تاريخية هي في الواقع حلقة في سلسلة حلقات التطور للمجتمعات التي تتحكم السياسة فيها كقوة محركة.

إن التاريخ في الواقع ــ كما يقول جورج بــوردو ــ ليس مجموعة وقائع فحسب انما هو قوة في الحاضر أيضاً، وهو يحمل طابــع الحــركات المختلفة بما فيها الحركات السياسية التي صنعته، فلا يمكن فهم بنية العلاقات السياسية ولا المؤسسات التي تنشأ عنها وتكرس رسمياً من دون الرجوع الى السياق التاريخي الذي أوجدها. بل أن كل شكل للحكم ممتزج بالتاريخ بحـكم كونه عنصراً يدخل في تكوين الجماعة الإنسانية يمتزج بعقليتها وبطريقــة عيشها ومن ثم فأنه جزء لا يتجزأ من كيانها.

إن معرفة ما فكر به الأشــخاص في الماضي لكي نفهم أعمالهم هو أول سبب في البحث التاريخي، فضلاً على أن التاريخ ليس مذخر الحــاضر فحسب وانما هو أيضاً مولد المستقبل، وعليه فأن التاريخ بــصفته بــعداً في الماضي للوعي الجمعي يكون إحد المعطيات الاساسية لعلم السياسة.

مقارنــــة:

س: هل التاريخ هو السياســـــة في الماضي ؟ أم السياســـــة هي التاريخ في الحاضر ؟

ج: يرتبط علم السياسة بالتاريخ ارتباطاً وثيقــاً ولكنه لا يعني في الواقــع أن التاريخ هو السياسة في الماضي ولا أن السياسة هي التاريخ الحــاضر، لأن علم السياسة إذا كان يعتمد على التاريخ في مواده فأنه انتقــائي في ذلك، أي يختار فقط ما يصلح لطبيعة بحوثه ودراساته.

إن دارس السياسة في انتقائه هذا لا يلتزم بالسياق الزمني للوقــائع كما هو شأن دارس التاريخ الذي يهدف قبل كل شيء الى تقــديم الوقــائع في تسلســلها الزمني. وعلى دارس السياســـة أن يضع المجتمعات المتماثلة في خصائصها السياسية بعضها الى جانب بــعضها الآخر بــالرغم من وجود

فوارق الزمن من أجل إجراء مقارنة في ما بينها. وإذا كان الأهتمام الأول للتاريخ هو تقديم الوقائع بعد التأكد من صحتها فأن طبيعة عناية البحث السياسي هي التجريد، أي صياغة القوانين والمبادىء العامة وفضلاً على ذلك فأن دارس السياسة يعنى بالدرجة الأولى لا ببنية ووظائف الحكومة في مجتمع تاريخي معين وإنما بالخصائص المميزة للأشكال المختلفة للحكومة على قدر تعلقها ببنيتها ووظائفها ولا يعني بالعملية الخاصة بالتغير السياسي وانما بالقوانين العامة أو الأتجاهات العامة للتغير الذي تجسد في هذه العملية الخاصة.

مصدر علم السياسة:

س: هل التاريخ هو المصدر الوحيد لعلم السياسة ؟

ج: التاريخ ليس المصدر الوحيد لعلم السياسة في تناول بحوثه إذ لا يزوده إلا بجزء من مواده. ولذلك فأنه يتوجه أيضاً الى العلوم الاجتماعية الأخرى كالأقتصاد والقانون والأخلاق وعلم النفس وغيرها في ما تحصل منها في الماضي، فضلاً على دراسته الواقع الراهن، لأن وقائع التاريخ ليست مفيدة كلها لعلم السياسة وأنما فقط الوقائع التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالسياسة سواء تعلقت بالدولة أم بالسلطة ذلك لأن كثيراً من وقائع التاريخ ليس لها علاقة قوية بالسياسة كتاريخ الفن والعلوم الصرفة والمخترعات والأكتشافات التاريخية واللغات والملابس والخلافات الدينية... الخ أو لا علاقة لها البتة بالسياسة. وطريقة دارس السياسة في ذلك تقوم على اختبار الأحداث الماضية في ضوء ما يتوافر من أدلة على صحة وجودها ثم استخلاص النتائج التي لها علاقة ببعض جوانب النشاط السياسي المعاصر. والمصادر التي تستخدم في ذلك متنوعة ومتعددة كسير العظماء ومذكراتهم والوثائق الرسمية ومقالات الصحف وغيرها ثم الشروع بعد ذلك بالقيام بعملية تركيب ما يتحصل من نتائج.

دراسة علم السياسة:

هل الدراسات التاريخية للأحزاب السياسية وحدها تعد معيناً ثراً لدراسات علم السياسة ؟

يجيب الدكتور صادق عن هذا التساؤل بقوله:

إن الدراسات التاريخية بشأن الأحزاب السياسية والانتخابات التشريعية والرأي العام والدعاية التي تنطوي على السلوك السياسي تعد معيناً ثراً لدراسات علم السياسة، وفضلاً على ذلك أن الوثائق المتعلقة بذلك سواء أكانت رسمية أم غير رسمية، مطبوعة أم مخطوطة، وكذلك مذكرات الذين أسهموا فيها، أو عاصروها يمكن أن تفسر كثيراً من نواحي السلوك السياسي لأنه لا يمكن تقويم السلوك السياسي أو الحكم عليه من دون معرفة تاريخ هذا السلوك، والنظريات التي ارتبطت به. وعندما تكون لدى عالم السياسة نظرات تاريخية أمينة وكاملة بشأن الأحزاب السياسية ونشاطاتها سواء على صعيد العمل البرلماني أم الانتخابات أم على صعيد الحركات الثورية، عندئذ فقط يمكن أن ندرك ما الوثائق الاقتصادية والاجتماعية التي تكون أساس سياستها، وكذلك سياق تطورها. غير أن إسهام المؤرخ في هذا الشأن يجب أن يكون مبنياً على أساس منهجي وعلمي، بحيث يكون بالإمكان استخلاص تعريف أكثر دقة ووضوحاً للروابط القائمة بين المصالح الاجتماعية وبين الأحزاب السياسية ومناهجها. وإذا ما بحثنا عن مثال على ذلك بما صدر في العراق وبعض أقطار الوطن العربي من دراسات تاريخية عن الأحزاب السياسية أو المذكرات الشخصية لإركان بعض الأحزاب مثل كتاب المرحوم الدكتور "فاضل حسين" عن الحزب الوطني الديمقراطي، وكتاب الأستاذ "شبلي العيسمي" عن حزب البعث العربي الأشتراكي وتاريخ حزب الأستقلال للدكتور "عبد الأمير العكام" وتاريخ الحزب الوطني التقدمي لـ"عادل تقي البلداوي" ومذكرات الأستاذ "كامل الجادرجي" وتاريخ الحزب الوطني الديموقراطي والأحزاب السياسية في العراق لـ"فاروق صالح



العمر" والأحزاب السياسية في فجر الإسلام لـ"عبد اللطيف بدوي" والخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية لـ"محمد عمارة" وفي صميم الأحداث لـ"محمد مهدي كبة" وغيرها كثير.

إن الدراسة التاريخية مفيدة أيضاً لعلم السياسة عندما تتناول بالبحث نشوء وتطور الأحزاب السياسية والنظم الحزبية والمفاهيم والمعتقدات التي تقوم على أساسها والتنافس الحزبي سواء أكان منظماً بموجب القانون وكيفية التعاقب على السلطة بصورة سلمية ام نظام الحزب الواحد والظروف التاريخية التي دفعت به الى الوجود، وعلى صعيد آخر لقد ارتبطت حركات التحرر والتحرير في العالم الثالث وكانت تقودها دائماً احزاب سياسية ثورية. والمؤلفات التاريخية بهذا الشأن ذات فائدة كبرى لدراسات علم السياسة، والواقع ان الدراسات التاريخية في هذا الشأن غالباً ما تختلط بالمنهجية السياسية وبالمقابل فأن بعض الدراسات السياسية غالباً ما تتوغل في مجالات التاريخ بحيث يصعب تبين الحد الفاصل بين المنهجية التاريخية والمنهجية السياسية كما ذكرنا من خلال الجواب من أمثلة لبعض الكتب والمؤلفات.

العوامل التاريخية ودورها في صياغة المواقف والأتجاهات:

إن الخلفيات التاريخية للشعوب فضلاً على تركيبها السيكولوجي الذي صاغته هي عوامل تاريخية أيضاً تقوم بدور مهم في صياغة المواقف والأتجاهات فضلاً على أسلوب ممارسة السلطة وشكل العلاقات بين الحكام والمحكومين.

فإن ظاهرة تعدد الأحزاب السياسية في فرنسا مثلاً لا تنعزل عن مزاج الشعب الفرنسي ولا عن الأحداث التي صنعت تاريخ فرنسا، ولا يمكن تفسير وصول الفاشية في إيطاليا في العشرينات والنازية في ألمانيا في الثلاثينات من هذا القرن إلا في ضوء دراسة التاريخ الحديث في الأقل لكل

من إيطاليا وألمانيا وتطورهما السياسي. كما لا يمكن فهم ظاهرة الأنقلابات العسكرية في أميركا اللاتينية والأوضاع السياسية القائمة في الوطن العربي من دون أن نأخذ بالحسبان الأبعاد التاريخية لذلك. الظاهرة السياسية مشروطة بظروف المجتمع الذي توجد فيه وما من مجتمع إلا وهو في حركة أسرعت أم أبطأت من مرحلة الى أخرى. وتاريخ المجتمعات هو تاريخ نقلاتها النوعية وبحكم ذلك فأن الظاهرة السياسية بما فيها السلوك السياسي تخضع للسياق التاريخي نفسه لحركة وتطور المجتمع وعليه فأن التاريخ بالنسبة الى علم السياسة لا يمكن أن يقف على المستوى نفسه مع كل من علم الأجتماع والأقتصاد السياسي. فإذا كان علم التاريخ هو خزان معلومات كما هو شأن كل من العلمين المذكورين فأنه فضلاً على ذلك قوة محركة أيضاً ومعنى ذلك أن اعتقاد الأفراد والجماعات بأن التاريخ له معنى يعطي الوقائع أو السلوك قيمة ملائمة أو مطابقة لها ولا تكون هذه القيمة موجودة إذا لم نضع الوقائع والسلوك في سياق التطور الذي تشير إليه مسيرة التاريخ.

وحين سألته: هل بالإمكان أن تضرب لنا مثلاً لذلك ؟ أجاب قائلاً:

نعم، إن الاعتقاد بأن مسيرة التاريخ تشير الى إنتهاء الأستعمار هي قوة محركة لنضال الشعوب المستعمرة للتخلص من السيطرة الأستعمارية والأعتقاد بأن الوحدة العربية هي ضرورة تاريخية في حياة الأمة العربية تدفع الى العمل من أجل تحقيقها، والأعتقاد بأن الإقطاع وحكم البرجوازية محكوم عليها تاريخياً بالزوال. وعليه بوسعنا القول إن التاريخ مولد التاريخ وأن الفكرة التي يكوّنها الأفراد والجماعات عن مسيرة التاريخ تستثير افعالا تنظم دائماً الى خط مسيرته نفسه ولا يعني هذا بأي شكل من الأشكال تأكيد مقولة أن التاريخ يعيد نفسه، فذلك خطأ تاريخي وانما تعين مسيرة التاريخ انطلاقاً من تعيين لاتجاه حركة التاريخ كونه سياق وقائع مترابطة ومتفاعلة أنطلاقاً من الماضي عبر الحاضر نحو مستقبل أفضل. ومن الأمثلة على

الحركات التي سعت الى توظيف التاريخ لكي توقف مسيرته الطبيعية نحو التقدم كثيرة غير أن الفاشية والنازية كانتا أبرزها وأشدها عنفاً.

حركة التاريخ وأيديولوجيات الحركات السياسية:

يرى الدكتور الأسود ان وعي حركة المجتمع التاريخية ينعكس في الاحداث والمؤسسات والقرارات والسلوك السياسي. ومن دون دراسة التاريخ في الأقل من وجهة نظر هذه الحركات لا يمكن لنا أن نفهم كل هذه الأنشطة أو المؤسسات السياسية.

ينتشر الوعي التاريخي في كيان الجماعة الأجتماعية ومن ثم يصبح عاملاً أساسياً في استقرار النظام الذي تقوم عليه وبذلك يعرض ميدان للبحث، يجب على علم السياسة أن يكشفه فينتزع باديء ذي بدء الفكرة التي تكونها هذه الجماعة أو تلك، أو هذا المجتمع أو ذاك عن نفسه وفي الوقت نفسه الذي يجب فيه تفادي التعميمات المفرطة بهذا الشأن. يجب دراسة الأعمال التي تعبّر أكثر من غيرها عن هذا المجتمع وتحليل الأحتمالات الجمعية والتعرف على الميول والأتجاهات وتطبيق التحليل النفسي على ما تنشره الصحف وتصريحات المسؤولين وفي الأخص الزعماء والقادة منهم، والبحث في أوساط الرأي العام عن معالم الثقة بالسلطة القائمة وبالنظام الذي تمثله او عدم الثقة أو الخضوع ولا ريب في أن مثل هذه المهمة تقتضي أن يتوافر فريق عمل للقيام بها وتقتضي هذه المهمة أيضاً التحقق من طبيعة العلاقات القائمة في ما بين المؤسسات والبنية التحتية السيكولوجية.

دراسة الرأي العام ذات قيمة في دراسة التاريخ:

إن دراسة الرأي العام والمواقف والأتجاهات تكون ذات قيمة كبيرة بالنسبة لدراسة التاريخ عند الدكتور صادق لأنها تكون في ما بعد لمؤرخ المستقبل وثائق مهمة لفهم الواقع الراهن الذي سيكون تاريخياً في المستقبل. والواقع أن دراسة الرأي العام والأتجاهات والمواقف ذات طبيعة مزدوجة إذ

يعني بها (علم النفس الاجتماعي) في جانب منها، وعلم السياسة في جانب آخر والتعاون في ما بينهما في جميع الأحوال يقدم مادة علمية لا يستهان بها في الدراسات التاريخية.

وفي سؤال عن مدى إمكان استعادة التاريخ كثيراً مما يتحصل في علم السياسة ؟

أجاب الدكتور صادق بالإيجاب، وإلا فأن معرفتنا التاريخ تصبح لا معنى لها إذا لم تقوّم سياسياً الأحداث والحركات السياسية. فلا يمكن فهم تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر بمجرد سرد الأحداث التي وقعت خلال تلك الحقبة وانما يجب بيان معنى وأهمية كل الحركات السياسية الجارية آنذاك، كالقومية والأمبريالية والفردية والفوضوية والأشتراكية والنقابية. ولا يمكن فهم ثورة العشرين في العراق أو ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ التي قضت على النظام الملكي وأقامت حكماً جمهورياً والثورات التي تلتها من خلال وقائعهما فحسب وانما يجب التعرف على بواعث الثورة والظروف التي اكتنفتها وسياق تطور الأحداث والمضاعفات التي تمت على المستوى الوطني والعالمي.

البعد التاريخي للعلاقات الدولية:

يرى الدكتور صادق أنه لا يمكن فهم المشاكل الدولية من دون إدراك المصالح التي تتحكم في أية دولة، ولنضرب مثلاً على ذلك أوربا، فمنذ قرن تقريباً وبالرغم من تقاليدها السياسية وما خلفته من آثار لا يمكن فهم المواقف التي تتخذها دول العالم الثالث إلا بربطها بتاريخها القريب في الأقل، وفي الأخص رواسب التركة التي خلفتها عصور السيطرة الاستعمارية فيها وكما ينطبق ذلك على العلاقات الدولية ينطبق على الدبلوماسية أيضاً. فالدبلوماسي مطالب دائماً بان يعرف تاريخ القطر الذي يمثل حكومته فيه لذلك يجب أن تكون حاضرة في ذهنه السوابق التاريخية



التي يعقدها في المناقشات الدبلوماسية، غير أن الدراسات التاريخية للعلاقات الدولية يجب أن لا تقتصر على دراسة النصوص الرسمية أو كتابات الذين شهدوا المحادثات الدبلوماسية أو ملفات مفاوضات ما، وانما الاهتمام أيضاً بما وراء ذلك من خطط بسيكولوجية أو أقتصادية تفصح عن النيات الحقيقية للدول إذ يوجد في ما وراء التاريخ البلوماسي بالمعنى الدقيق تاريخ حقيقي للعلاقات الدولية ومع ذلك فأن منهجية البحث يجب أن تؤخذ بتحفظ لان أساس البحث في هذا الشأن هو الأعتماد على الوثائق. وعندما تفقد الوثائق أو لا تكون كافية فأن الباحث يلجأ الى فرضياته أي الى التفسير وفي ذلك أيضاً يبتعد كثيراً عن المعطيات التي تسمح الوثائق بإقرارها بصورة دقيقة وبناءً عليه فأن بوسع الباحث أن يصدر أحكامه على الموضوع الذي يدرسه ما دامت الوثائق التي يستخدمها تشير الى الموقف الذي تتخذه الحكومات وليس نياتها.

المصطحات التي يستخدمها عالم السياسة:

يقرر الدكتور صادق إن المفاهيم والمصطلحات التي يستخدمها عالم السياسة والتي تكون منطلقاً إلزامياً لكل التفسيرات التي يصوغها والتي هي نتاج تكوّن تاريخي طويل وتجلب معها رواسب حضارات كبيرة سالفة. وعند إستخدام مصطلح أو مفهومٍ ما يجب التحقق من أصوله ومضمونه والأوساط التي أستخدمته، ولا ادلّ على ذلك من المصطلحات والمفاهيم الكبرى المستخدمة في السياسة: نظام، سلطة، سلطان، حكام ومحكومون، مبدأ فصل السلطات، حق الشعوب في تقرير مصيرها، الديمقراطية، الاشتراكية، والإنسانية وغيرها من المصطلحات والمفاهيم التي نشأت وتطورت في سياق تاريخي تحكمت فيه ظروف متعددة بحيث أصبح المصطلح أو المفهوم ينطوي على معان كثيرة أو بالأحرى تفسيرات متعددة.

مفهوم الديمقراطية:

فمفهوم الديمقراطية مثلاً لدى الاغريق هو غيره في القرن التاسع عشر أو في القرن العشرين بل أن مفهوم الديمقراطية في الوقت الحاضر له دلالات متعددة بتعدد النظريات والأيديولوجيات، وعليه إذا لم يحدد المفهوم من ناحية الزمن الذي أستخدم فيه، والاوساط التي طرحته لن يكون بوسع دارس السياسة أن يتوصل الى نتائج دقيقة في بحوثه. وفي هذه الناحية فان التاريخ عون قوي لإجلاء معاني المفاهيم والمصطلحات وسياق تطورها التاريخي.

وفي سؤال عن رأيه في أن علم السياسة لا يمكن ان يبلور قوانينه الخاصة به ما لم يرجع الى التاريخ ويطبقها على الأحداث الماضية ؟ أجاب قائلاً :

إن قوانين علم السياسة يجب أن تنطبق على الوقائع الحالية كما تنطبق ايضاً على الوقائع التي حدثت من قبل في تاريخ المجتمعات السياسية. والحقيقة أن قوانين علم السياسة هي تعميمات لتجارب تاريخية وعلى هذا النحو وعن طريق دراسة المراسيم البدائية السياسية الدينية والصيغ الحكومية الحديثة ومقارنة بعضها ببعضها الآخر يمكن تكوين فكرة عن مفهوم السلطة الذي سوف يتخذ منها السمات المشتركة ويهمل ما هي عرضية منها وأعمال المؤرخين. بإيجاز تكون خزاناً للمعلومات بالنسبة الى الباحث في علم السياسة تمكنه من إجراء تحليل الأنماط المختلفة للمؤسسات والنشاطات السياسية التي تؤدي الى فهم الحاضر وتبين آفاق المستقبل وفضلاً على ذلك ان التاريخ وهو يعالج الوقائع في سياق حدوثها التاريخي، فمن معلومات التاريخ إذاً ينتقي عالم السياسة الحقائق ويصفها حسب أهميتها الخاصة حين يفسر طبيعة الدولة وحين يبين الأسباب العامة والأسس الثابتة بعلم السياسة وهذه المعلومات تكون بمثابة مادة للتعميم والمقارنة ولذلك فالتاريخ يقدم البعد الثالث لعلوم السياسة التي هي ثمرة التاريخ، وأن التاريخ هو جذر علوم السياسة ومادة علوم السياسة لا يمكن أن تكون على أية حال

مستمدة بصورة كاملة من التاريخ، فأن دراسة الدولة لها صلة بعلم النفس والأخلاق والفلسفة أيضاً.

كيف تبنى النظرية السياسية ؟

يرى الدكتور صادق إن هذه النظرية تبنى على أساس مراقبة الوقائع السياسية وأكتشاف الترابط في ما بينها ثم أنتظام سياقها ويعرفها (ستيفن و سبي) كونها أنظومة من التعميمات المبنية على أساس نتائج تجريبية أو يمكن اختيارها تجريبياً. والنظرية السياسية تقوم بوصف وتفسير ما يقع من أحداث فعلاً، وليس ما يجب أن يقع وذلك بالتعميمات وقد تكيف مجموعة من العبارات مأخوذة بشكل فرضيات تماماً كنظرية وذلك قبل الوصول الى التعميمات التجريبية وتبقى فرضيات ربما لأنه لا يمكن أختبارها بسبب عدم تيسر المعلومات الضرورية ولكن حيثما كانت قابلة للاختبار من ناحية المبدأ فيمكن عدها نظرية ومن ثم يمكن تعريف النظرية على نحو أكثر تكاملاً بـ(أن النظرية تشتمل أساساً على مجموعة من التعابير تسمى قوانين أو اقتراحات يرتبط بعضها ببعضها الآخر وتعبر عن الروابط القائمة بين متغيرات في ظل اوضاع النظام). والقوانين والأقتراحات المذكورة مبنية كلياً على اساس وقائع وجدت بعد اختيار الفرضيات.

س: هل توجد نظرية واضحة المعالم في السياسة ؟

إنه يرى صعوبة الجواب عن هذا السؤال، حيث يفضل بعض الباحثين تعبير إطار مرجعي Form of Reference الذي يعني أن هناك شيئاً لم يصبح بعد نظرية لأنه لم يستكمل بعد مستلزمات النظرية. وعليه فان نظريات السياسة توجد على درجات متنوعة من الدقة او التفاصيل الأمر الذي يقتضي أخذ ذلك بالحسبان بدلاً من تحديد معنى النظرية.

إن فلاسفة السياسة الأقدمين كونوا بُنى نظرية كبيرة ومجردة وتتسم بطابع شمولي عام بحيث تنطبق على وقائع واسعة الأبعاد وبات في حسبان كثير من الباحثين في السياسة أن النظرية السياسية يجب أن تماثل ذلك. أما في الوقت الحاضر فأن تقنيات علم السياسة لم تتطور بعد الى الحد الذي تستطيع ان تبعث الى الوجود بنظريات بهذا الحجم ولذلك فان ما هو أقرب الى واقع علم السياسة الحديث هو الأخذ بتعبير (أطر المرجع) أو تقريبا نظريات Quast Theories بدلاً من (نظريات). وعلماء السياسة الذين سعوا الى بناء (نظرية) على اساس المنهجية التجريبية لم يفعلوا سوى إقامة (أطر مرجعية لبحوثهم) أو أنهم سحبوا التعميمات التي أثبتت صحتها في نظرية منهجية ومع ذلك فأن هذه التعميمات هي جزئية وأسسها قائمة في بحوث أخرى قام بها علماء سياسة آخرون في مجالات أخرى من الحياة السياسية، ومن ثم فهي تختلف عن الأسس التي يبني عالمنا السياسي هنا نظريته في السياسة.

وفي سؤال مفاده: يستخدم علماء السياسة تفسيرات متنوعة للظاهرة السياسية. هل يمكنك تحديد أو توضيح بعض تلك التفسيرات ؟ ثم هل بالإمكان توضيح معنى التفسير والتنبؤ في علم السياسة ؟

أجاب قائلاً:

كل أنواع التفسيرات ما هي إلا أنماط لأنموذج واحد من التفسير العلمي الذي ينقسم الى جزأين. الأول منهما مفسِّر والثاني مفسَّر.

أما الجزء الأول فيشمل القوانين العامة والظروف الأولية أو الظروف السابقة ثم تنطوي كل هذه على الشيء المفسر.

إن هدف هذا العلم هو تفسير الظواهر. وبعض العلماء يرى أنه تفسير من نمط معين، ويشترط آخرون بأن التنبؤ كهدف للعلم إذ أن عناصر التنبؤ الجيد هي ضرورية لتفسير ملائم وبالمقابل أن التفسير العلمي قد يؤدي



الى صيغة من التنبؤ وبعض الباحثين يشعر بأن التنبـؤ لا يمكن ان يوجد من دون تفسير، وشمولية التفسير غالباً ما تزيد في القدرة على التنبؤ.

وعلى العموم يمكن تعريف التفسير للنظرية السياسية بأنه الإجابـة عن سؤال لماذا ؟ فمثلاً يسأل السـائل المتخصص عن سبـب كثرة وقـوع الانقلابات العسكرية في أقطار أمريكا اللاتينية مثلاً ؟ أو لماذا حدثت ثورات متعددة في بعض الأقطار العربية ؟. إن الاجابة عن مثل هذه الأسئلة إجابـة علمية وموضوعية يكون تفسيراً للوقائع السياسـية غير أنه توجد هناك عدة استعمالات لكلمة تفسير. فقد تستخدم كلمة تفسير بمعنى (وصف) فيقال مثلاً تفسـير (بـنية المجلس الوطني) في العراق أو مجلس الوزراء أو النظام السياسي في العراق ؟ والواقع أن قسماً كبـيراً من علم السياسـة هو وصفي ولذلك فأن كثيراً من علماء السياسة يكرسـون جهودهم لاكتشـاف ووصف الوقائع السياسية ومع ذلك فان الاعتراف بأهمية الوصف بالنسبـة الى العلم وفي الأخص بالنسبة الى علم لم ينضج بعد كعلم السياسة لا يمكن أن يكون هو غاية العلم.

التاريخ السياسي لا ينفصل عن التاريخ العام للوطن العربي:

يرى الدكتور صادق أنه من غير الممكن فصل التاريخ السياسي عن التاريخ العربي العام، ويذهب الدكتور صادق الأسود الى أبـعد من ذلك فهو يقرر تاريخ علم السياسـة بنشـوء وتطور التدريس الجامعي في الأقـطار العربـية كما لا ينفصل هذا التاريخ عن التأثيرات الجوهرية في الحـركات الفكرية في العالم.

وبناء على ظروف التجزئة والهيمنة الأجنبية ووجود الحـكومات الرجعية فضلاً على التخلف كانت نظرة الأوساط الرسمية نحـو السياسـة كمعرفة وعلم مشوبة بكثير من الريبة والحذر، لذلك فقـد ظل علم السياسـة حتى الى ما بعد الحرب العالمية الثانية غير معترف به رسـمياً في جامعات

وكليات ومعاهد الأقطار العربية وكان يطل من كوة صغيرة يدرسه طلاب كليات القانون أو الشريعة ضمن بعض المقررات الدراسية فلا تعدو تلك الدراسة سوى بعض التعريفات السهلة أو التاريخ السياسي للأحداث ولم يدرس كعلم مستقل بذاته إلا في النصف الثاني من القرن الماضي.

إن هذا الإهمال المتعمد أو المقصود يعود الى التخوف من مناقشة مشكلة الحكم أولاً ومن ثم حرية الفكر ومشاركة المواطنين في تيسير الشؤون العامة وكل ذلك لم يكن متيسراً إن لم نقل يصطدم مع طبيعة النظم القائمة ومصالح القطاعات الاجتماعية التي كانت تمثلها فضلاً على هيمنة النفوذ الأجنبي، ففي العراق مثلاً لم تعترف الحكومة بعلم السياسة رسمياً ويكون مادة مقررة في التدريس إلا بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ إذ أُنشيء له فرع في كلية الآداب أطلق عليه قسم العلوم السياسية وظل ينمو ويتطور حتى أصبح للعلوم السياسية كلية مستقلة. وفي العراق اليوم أكثر من كلية للعلوم السياسية وهذا ما كان حاصلاً في معظم جامعات أقطار الوطن العربي قبل أربعة عقود من السنين.

رأيك بهم !!

سألته فأجاب:

- أرسطو

له مكانة مرموقة في نشوء وتطور علم السياسة، ويعد الرائد الأول للمعرفة العلمية وهو صاحب النظرية القائلة إن لكل علم شخصيته المستقلة. وهو الذي أوجد العنصر الأولي في تكوين علم السياسة في أستخدامه منهجية المراقبة.

- الفارابي

له الفضل في علم السياسة الذي سماه بالعلم المدني الذي يتضمن معرفة الأمور التي تحصل بها الأشياء الجميلة لأهل المدن والقدرة

على تحصيلها لهم وحفظها عليهم. (من رسائل الفارابي).

- **الغزالي أبو حامد**

وضع علم السياسة ضمن العلوم الدنيوية التي تبدو ضرورية لتأمين الحياة الأفضل.

- **أبن رشد**

شبّه علم السياسة بـــالطب، ورأى أن هذا العلم يشـــتمل على ترتيب الشيم والسير الفاضلة في المدن والأمم.

- **ابن خلدون**

منهجه تجريبي بشكل أساس. لم تكن له أهتمامات معيارية ولا ميول أيديولوجية، فهو يقدم بحزم الملاحظة المشبـــعة تفكيراً على التفكير المجرد. فالسياسة في نظره يحتاج صاحبـــها الى مراعاة أحـــوال العمران كما هي في واقعها الخارجي.

- **ميكيافيللي**

استخدم المنهجية الموضوعية وفصلها عن المشاغل الأخلاقية، في الوقت نفســـه يكون قـــد اكمل منهجية المراقبـــة لأرســـطو. وراح يستقرىء وقائع التاريخ الروماني الذي عدّه المثل الأعلى في الحكم. أعتمد على مراقبة سياسات عصره في كتابه (الأمير) بـــينما يظهر اعتماده على التاريخ في كتابه (المطارحات).

- **توماس هوبز**

ربط النظام السياسي بالسلوك الإنساني مقترباً في ذلك من المفاهيم البنوية الوظيفية في العلم الأجتماعي الحديث.

- **مونتسكيو**

يعد مؤسس علم السياسة، فكتابـــه (روح القــوانين) أهم مؤلف في تاريخ علم السياسة الى جانب كتاب السياسة لأرسطو. أســتطاع أن يعالج القــوانين والأعراف والعادات المختلفة لدى الشــعوب، وهو أول من حاول ان يميز في شخصه بــين المواطن الملتزم أخلاقــياً وسياسياً وبــين المراقــب العلمي الذي يبــذل جهده للوصول الى الموضوعية الشاملة.

- **سان سيمون**

طرح فكرة تكوين علم وضعي للسياســة، أي مذهب قـــائم على معطيات موضوعية وهو إحدى نقاط إنطلاق تطور علم السياســة الحديث.

- **أوغست كونت**

سعى الى إيجاد علم واحد للمجتمع وآمن بوحـــدة العلوم الاجتماعية ولم يمل كثيراً الى أنقسامها الى مذاهب. وقــد أســهم في تطور علم السياسة من خلال كتابه (نظام السياسة الوضعية).

- **كارل ماركس**

كان له الأثر في تطور علم السياسة حين ربط السلطة بالصراع بين الطبقات الاجتماعية وتقديم قــوانين عامة تحــكم تطور وأنتقــال المجتمعات من مرحلة الى أخرى أرقى منها ومن ثم فأن السياســة هي جزء من حركة المجتمع، وتأكيد العامل الأقــتصادي في تطور المجتمع أي تداخل السياسة بالوقائع الأجتماعية والأقتصادية.

سألت الدكتور صادق أسئلة سريعة الإجابة:

س: هل التاريخ مادة جيدة في دراسة المؤسسات السياسية ؟

ج: نعم إذا تم بحذر وبمنهجية علمية صارمة.

س: الوحدة العربية ؟

ج: ضرورة تاريخية في حياة الأمة العربية.

س: الإقطاع ؟

ج: محكوم عليه تاريخياً بالزوال.

س: هل التاريخ يعيد نفسه ؟

ج: خطأ تاريخي، فالتاريخ مولد التاريخ.

س: متى وجدت الظاهرة السياسية ؟

ج: منذ أقدم العصور.

س: وأين وجدت أو ظهرت ؟

ج: في المجتمعات الإنسانية.

س: متى استقل علم السياسة وانفصل عن العلوم الأجتماعية الأخرى ؟

ج: في وقت متأخر جداً.

س: هل تطورت دراسة السياسة ؟

ج: نعم شأنها شأن المعارف الإنسانية الأخرى.

س: هل بالإمكان فصل تاريخ علم السياسة عن تاريخ الأفكار السياسية ؟

ج: لا يمكن ذلك.

س: علم السياسة العربي المعاصر ؟

ج: ينهض عندما يتفاعل مع وقائع الحياة اليومية.

س: متى يتطور هذا العلم ؟

ج: عندما تفتح أمامه آفاق واسعة.

التأليف في علم السياسة:

س: يرى الكاتب الفرنسي (موريس دي بـورجيه) أنه منذ بـدايات المجتمع الإنساني وحتى نهاية القرن التاسع عشـر لم يكن هناك إدراك واضح بـأن السياسة يمكن أن تكون موضوعاً للعلم لأنه لم تكن آنذاك مناهج بحث علمية تطبق في دراسة السياسة، وعليه فلم يكن هناك علم للسياسة بالمعنى الدقـيق للعبارة. كيف يمكن لك تقويم وثاقة هذا الرأي ؟

ج: الجواب عن سـؤالك قـد ادرجته في المبحـث الخاص الذي كتبـته في كتاب (مدخل الى علم السياسة) أعود فأقول: "إن تسـمية هذه المرحـلة بـ(علم السياسة التقليدي) أو كما يسميها "دي بـورجيه" (ما قبـل تاريخ علم السياسـة) لا تعني الأنتقـاص من المؤلفات السياسـية التي ظهرت في هذه المرحلة بل أن بعض هذه المؤلفات قد تكون أرفع من ناحية أهميتها حتى من بعض المؤلفات التي كتبت بعد ظهور علم السياسة الحديث، لأن هذه الأعمال عنيت بمجتمعات سياسية كانت قائمة آنذاك وعلى قـدر ما كان متوافراً من معرفة إنسانية في الفكر وفي المنهجية قدمت حصيلة علمية لا يستهان بها في الوقـت الحـاضر. ويمكن أن تخضع المعطيات القـديمة في السياسـة الى تفسيرات حديثة غير أنها مع ذلك تبقى مادةأساسـية في دراسـة السياسـة، وتجاهلها يؤدي ولا ريب الى الأنقـطاع عن مصادر جوهرية للمعلومات السياسية المعاصرة وربما كان في مقدمة ذلك طبيعة المسائل السياسـية التي طرحها هؤلاء المفكرون الأوائل. إذ ما زالت طريقـة طرح المشـكلة تكون خطوة متقدمة في الإحاطة بالمشكلة السياسـية وأستيعابـها وأسـتخلاص القوانين التي تحـكمها. إن هذه المؤلفات قـدمت الأكتشـاف الأولي لميدان الدراسات المقارنة للحكومات والتفاعل الواضح بـين النظريات السياسـية وبـين طبـيعة المجتمع الذي توجد فيه ثم أنعكاس ذلك على السياسـة فضلاً على مواضيع أخرى كثيرة ما زالت تغني دارس السياسة.

شيء من التاريخ السياسي

العلاقات العربية ـ الفرنسية قبل ١٩٥٨:

حينما يتحدث الدكتور صادق الأسود في موضوع تاريخي حديث أو معاصر فهو انما يتحدث بنفَس المؤرخ السياسي وحسب كل ما يعنيه في الأمر ديناميكية التحرك السياسي في هذا القطر أو ذاك يعرضها بتحليل ونظرة فيها خصوصية كبيرة وها نحن ذا نستمع اليه وهو يحدثنا عن تاريخ العلاقات الفرنسية الحديثة حتى عام ١٩٥٨ أو حتى مجيء الجنرال "ديغول" الذي غيّر تاريخ فرنسا وجعلها تسير في مسار جديد صار يعرف بعد ذلك في فرنسا بـ"الأتجاه الديغولي".

يقول الدكتور صادق في بحث له نشره في مجلة دراسات فلسطينية:

لقد كانت فرنسا إحدى الدول الكبرى ذات المصالح الأستعمارية في الوطن العربي في مشرقه (سورية ولبنان) وفي مغربه (تونس والجزائر والمغرب) وبحكم ذلك كانت دائماً في صراع مزدوج ، في ناحية مع حركات التحرر العربي في هذه الأقطار ، وفي ناحية أخرى مع الدول الكبرى الأخرى وربما كان أمضى صراع في الأخص بهذا الشأن هو صراعها مع بريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها، إذ سعت بريطانيا الى إزاحة الوجود الفرنسي في سورية ولبنان في وقت كانت فرنسا تمر في أحلك الظروف، وهي ممزقة وتعاني الأحتلال النازي ومنقسمة على نفسها.

ويستمر الدكتور صادق في الحديث عن ظروف فرنسا في تلك الحقبة الحرجة من حقب التاريخ الفرنسي الحديث مستنداً في إيراد الحقائق الى مذكرات الجنرال "ديغول" وخاصة في حديث "ديغول" عن موقف فرنسا من قضايا الشرق الأوسط وعلاقاتها التي تدنت مع بلدان المنطقة خلال أزمتي الجزائر والسويس، وموقف فرنسا من العدوان الصهيوني واحتلال الأراضي العربية الجديدة عام ١٩٦٧، وقضية تزويد الكيان الصهيوني

بالسلاح وبخاصة سـلاح الطيران منه، فأن الكيان الصهيوني كان في نظر فرنسا رأس جسر للنفوذ الأمريكي في هذه المنطقة الحـيوية من العالم، ومع ذلك فقـد دفع بسياسـة التعاون الفرنسـية مع الكيان الصهيوني الى تجاوز العلاقات البلوماسية التقليدية وأصبح التعاون وثيقاً بين هيئات الأركان فيهما بل وأتخذ شكل تمازج فعلي في مجال الأستخبارات التقنية، وفي الوقت الذي لم يكن لفرنسا حليف بين العرب، مما دفع الولايات المتحدة الى أن تحل فرنسا بـمكانها كما يقـول "موريس كوف ديميرفيل" في تجهيز الكيان الصهيوني بالمواد العسكرية وفي مقدمتها الطائرات وفي الوقت نفسه تواصل الحـفاظ على علاقاتها مع الأقطار العربية والحفاظ على مصالحها النفطية فيه.

المعروف عنه انه بحث القضية الفلسـطينية تاريخياً وسياسـياً في محاضرات وأبحاث ألقاها وكتبها كلما سنحت الفرصة لذلك وحين سألته: هل بمقدورك إستجلاء موقف الرئيس الفرنسي الأسبـق "شـارل ديغول" كممثل لقوة عظمى من القضية الفلسطينية قبل عام النكبة وبعده ؟ أجاب بقوله:

"لم يكن لـ"ديغول" موقـف واضح حـتى عام ١٩٤٧، إذ كان يرى ان لا مصلحة لفرنسـا بـالتدخل ما دامت فلسـطين تحـت الأنتداب البريطاني... غير أن موقف "ديغول" قد تغير بعد صدور قرار التقسـيم في ٣٠ / ١١ / ١٩٤٧ وبعد إنتهاء الأنتداب البريطاني والإعلان عن قيام الكيان الصهيوني المسخ أخذ "ديغول" يميز بـين القـضية الفلسـطينية والحـركة الصهيونية وقيام الدويلة المغتصبة للحـق العربـي. وهو يختلف عن بقـية الزعماء القريبين منه الذين أتخذوا مواقف ضد مصلحـة العرب وفيها تأييد للصهاينة حتى أن وزيـر دفـاع "ديغـول" كان أكثر المدافعين عن الكيان الصهيوني وكان من أشد المطالبـين بـدعم (إسـرائيل) مادياً وعسـكرياً ودبلوماسياً ولم يقف الديغوليون عند هذا الحد بـل تخطوه الى أبـعد من ذلك حين أيدوا العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، ولكن تغير الحـال بعـد

وصول "ديغول" الى السلطة عام ١٩٥٨ أنصبت عناية الجمهورية الخامسة على استعادة فرنسا مركزها في العلاقات الدولية فسعت الى حل مشكلات المستعمرات، ثم السعي الى إستقلال فرنسا بإتخاذ القرار السياسي بعيداً عن التأثير الأمريكي، وتحديد علاقات فرنسا بأوربا الغربية والشرقية مستندين الى الإرادة، والحرية، والأستمرارية.

لقد بادر "ديغول" الى وضع حد للتغلغل الصهيوني في المؤسسة العسكرية الفرنسية، ووضع حد أيضاً للتعاون الفرنسي ـ (الإسرائيلي) في ميدان المخابرات وهذا لا يعني أن فرنسا الديغولية كانت الى جانب العرب كما ينبغي بل كانت تحاول وتسعى الى سياسة الترضية وعدم إغضاب أي من الطرفين وظلت الدويلة المسخ تعد فرنسا بأنها الصديق والحليف لها ولكن فرنسا كانت تبذل مساعي لتعزيز علاقاتها مع الأقطار العربية في الشرق الأوسط من أجل حماية مصالحها الأقتصادية والسياسية.

وقد سألته أن يفصل أكثر عن موقف "ديغول" من قضايا العرب القومية، كان جوابه لي بأنه قد ألف كتاباً مستقلاً بحث فيه الموضوع بالتفصيل وقد أنجزه عام ١٩٨٤ وبتكليف من وزارة الثقافة والاعلام العراقية وسمّاه (ديغول والعرب)، الكتاب مخطوط، يقع في فصول بحث فيها الموضوع مفصلاً:

الفصل الأول: ما الديغولية، ديغول السيرة الذاتية، الأسس الأجتماعية للديغولية، تحكّم العوامل الأقتصادية في الموقف الفرنسي من القضايا العربية.

الفصل الثاني: العلاقات الفرنسية العربية، والعلاقات الفرنسية ـ (الإسرائيلية) حتى عام ١٩٥٨، حادثة باخرة "أكسودس"، اعتراف فرنسا بـ(إسرائيل) أو الكيان الصهيوني، تأثير حرب الجزائر، حملة السويس، الطائفة اليهودية وتأثيرها في

السياسة الفرنسية، المنظمات الصهيونية في فرنسا، أبرز زعماء الطائفة اليهودية في فرنسا، ديغول و القضية الفلسطينية حتى قيام الجمهورية الخامسة ١٩٥٨.

الفصل الثالث: العلاقات الفرنسية ـ العربية من ١٩٥٨ ـ ١٩٦٢، إعادة النظر في التعاون الفرنسي ـ (الإسرائيلي)، زيارات "بن غوريون"، توطيد العلاقات الفرنسية من استقلال الجزائر الى حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧، انحدار التعاون الفرنسي ـ (الإسرائيلي).

الفصل الرابع: أختلال توازن الموقف الفرنسي، (إسرائيل) والعرب بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧، انسحاب القوات (الإسرائيلية) الى حدود ما قبل الخامس من حزيران، تدخل الدول الكبرى، قرار رقم ٢٤٢ وموقف فرنسا منه، حل المشكلة الفلسطينية، الأعتراف بالشعب الفلسطيني.

الفصل الخامس: الديغولية بعد رحيل ديغول، فرض الحظر على ارسال الأسلحة، الاعتراف بحق تقرير المصير للفلسطينيين.

ويختتم كتابه بقائمة المراجع.

كيف دافعت اليابان عن نفسها بعد الحرب العالمية الثانية:

تحتل اليابـــان أهمية كبـــرى في العالم من الناحـــية الأقـــتصادية والتاريخية ولارتباط هذين العنصرين بالسياسة فقـــد عرض الدكتور صادق الأسود في مقـــال نشـــرته له مجلة الدفاع الوطني التي تصدرها كلية الدفاع الوطني في بغداد دراسة تاريخية سياسية للحقبة التي تلت الحـــرب العالمية الثانية والتي نجم عنها وصول اليابان الى درجة الصفر عسكرياً بـــالرغم من التهديدات التي تتعرض لها بأستمرار من بـــعض دول الجوار لها في جنوب شرقي آسيا.

وكتب الدكتور صادق في بحث له بـــهذا الصدد نشـــره في المجلة المذكورة قائلاً:

ليست لليابان وسائل كافية للدفاع عن أراضيها ولا لحـــماية الطرق البحرية التي تعتمد عليها في بقائها كقوة صناعية وأقتصادية كبرى في العالم. هذا ما حدث لها بـــعد الحـــرب العالمية الثانية وأســـتمرت الى الآن ولكنها أستطاعت أن تسيطر على شرق وجنوب شرقي آسيا أقـــتصادياً وتعداها الى بسط نفوذها بسرعة في أقطار العالم الأخرى حتى قيل أن المستقبل القـــريب سيكون لها. ولكن المشكلة التي تواجه اليابان في المدى القريب بعد أن أتسع حجم أستثماراتها الأقتصادية في الخارج هي كيفية مواجهة القوى الكبرى في منطقة غير مستقرة في العالم ويتزايد الصراع فيها من أجل الهيمنة والنفوذ.

تعتمد اليابان في ضمان أمنها القومي على قـــدرات قـــوات الدفاع الذاتي البرية والبحـــرية والجوية أولاً وعلى الحـــماية الأمريكية ثانياً، وهذه الأخيرة هي التي تعوّل عليها في الصراع الدولي الدائر في المنطقـــة، ولكن كثيراً من المراقبين السياسيين والعسكريين يتســـاءلون عما إذا كان بوســـع اليابان أن تستمر في الإعتماد على الولايات المتحدة لحـــماية وصيانة توازن القوى والأمن والأستقرار في منطقة حـــوض المحـــيط الهادىء من دون أن

تتبنى خططاً سياسية وعسكرية تلائم قوتها ونفوذها الأقتصاديين، وبمعزل عن سياسة الولايات المتحدة برغم انها تظل حليفة لها ؟. وعلى صعيد آخر فأن اليابان هي بتماس مع ثلاث دول كبرى نووية هي: روسيا والصين الشعبية والولايات المتحدة فهل بوسعها ان تنطلق في مجال التسلح من دون ان تأخذ بالحسبان أهمية الأسلحة النووية لحماية أمنها القومي ولا سيما ان نطاق أمنها في حدودها الأقليمية البرية والبحرية والطرق البحرية التي هي شرايين نظامها الأقتصادي فقد امتد الى مسافات شاسعة ؟

بقيت اليابان من عام ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ من دون قوات مسلحة حيث دمرتها الولايات المتحدة، وفي عام ١٩٤٦ قدمت قوات الأحتلال الأمريكي مشروع دستور جديد الى الحكومة اليابانية الهدف منه الحد من تهديد اليابان للمصالح الأمريكية وللأمن والسلام في العالم، غير أن المشروع لم يتقبله اليابانيون بكليته بل أجريت عليه بعض التعديلات حتى أقرته الحكومة اليابانية سنة ١٩٤٧. ومن أبرز مواد المشروع أو الدستور المذكور هو تعهد اليابان بالتخلي عن الحرب كحق من حقوق السيادة للأمة وعدم أستخدام القوة كحل المنازعات الدولية وبذلك فقد منعت اليابان من حق تكوين القوات المسلحة وظل النقاش محتدماً بشأن هذا البند حتى كان عام ١٩٥٢ حين عقدت اليابان معاهدة سلام وأمن متبادل بينها وبيين أمريكا استعادت بموجبها اليابان سيادتها الوطنية وأصبحت حليفاً مهماً للولايات المتحدة في شرقي آسيا فأنطلق هذا البلد يبني اقتصاده ويوسعه وينميه بشكل مثير للأهتمام وبدعم من أمريكا.

ويواصل الدكتور صادق حديثه عن الموضوع وقضية المفاوضات واقرار المعاهدة المذكورة مع الولايات المتحدة المتحدة والحرب الكورية في أوجها وقيام الأحلاف المشتركة بين الصين وروسيا والمواجهة بصورة مباشرة ضد اليابان وبصورة غير مباشرة ضد الولايات الامريكية وموضوع

الحرب الباردة في أوربا وغيرها من المتغيرات والأحـداث في تلك الحقبـة التاريخية مما أسهم في ايجاد المسوغات للوجود الأمريكي في اليابـان الذي يعد بمثابة الأحتلال لاراضيها.

وكان في عام ١٩٥٢ زهاء ٢٦٠ الف جنـدي وفـي عـام ١٩٧٥ حوالي ٥١ ألف رجل، ولكن الشعب الياباني رفض بنود تلك المعاهدة وطالب بإلغائها لان قوى الشعب الياباني كانت تسعى الى جعل بلدهم بلداً محايداً بعد أن ذاق ويلات الحرب.

وظلت الولايات المتحدة تسعى الى جعل اليابان حليفاً قوياً ومسلحـاً أكثر من أن تكون حليفاً ضعيفاً ومجرداً من السلاح، وكانت الحكومة اليابانية تتبنى وجهة النظر الأمريكية نفسها. وعليه فقد بادرت اليابان الى تأسيس قوة السلامة الوطنية وقوامها عشرة الآف ومئة رجل وقوة بحرية بهذا القدر من الرجال، وفي عام ١٩٥٤ أعيد تنظيم هذه القوات فأنشـئت وكالة الدفاع التي تقوم مقام وزارة الدفاع في الدول الأخرى، وفي عام ١٩٥٦ أنشـىء(مجلس الدفاع الوطني) وبعدها بسنة أصبحت السياسـات الأساسـية للدفاع الوطني توضع على وفق أحكام الدستور وتعد الأساس الذي تقـوم عليه كل بـرامج الدفاع وأستمر تحديث قوات الدفاع الذاتي من عام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٧٢. وأن الحزب الليبرالي الديموقراطي الياباني هو الذي كان يقود سياسة تطوير الدفاع الذاتي بينما أحزاب المعارضة كانت تعارضه وقد حسمت المحـكمة العليا اليابانية الموضوع وقررت بأن من حـق اليابـان أن تتخذ الإجراءات الكفيلة للدفاع عن سلامة وأمن البلاد وضمان بقائها.

ويستمر الدكتور صادق في سرد وتحليل قـضية التسـليح الذاتي الياباني وموقف أمريكا منه ويورد احصائيات عن قدرات اليابـان الدفاعية. وأخيرا يتساءل هل توقف اليابان مساعيها على طريق التسلح ؟ وهل تسـير في الطريق الذي أختطته لنفسها بحكم موقفها الجيوبوتيكي وبحـكم طبـيعة

وقوة أقتصادها الذي بدأ يميل نحـو الكسـاد في السـنوات الأخيرة بسبـب الظروف التي أحاطت بها، فشرعت في توسيع الصناعة الحربية وتوسـيع جهازها العسكري وزيادة إنفاقها العسـكري خاصة بـعد أن رأت أن تجارة السلاح غدت مربحة جداً في عقـود السـنين الأخيرة، ومن نافلة القـول أن اليابان قد وصلت الى مستوى عالٍ جداً في مجال النشاط النووي وبـإمكانها صنع الأسلحة النووية خلال زمن قـصير. إن كل هذه المعطيات الأساسـية تجعل المراقبين يتساءلون أي طريق سـوف تختاره اليابـان في المستقبـل القريب ؟ وعند ذاك سيكون لليابان دور مهم في عملية التكوين إذا ما قـررت أن تدخل مجال صناعة بعض الأنواع من الأسلحة الستراتيجية.

الشخصية والخيارات السياسية:

الشخصية عامل مهم بل وحاسم في ميدان الخيارات السياسية الأساسية. وفي مقالة له نشرت في مجلة العلوم السياسية / السنة الثالثة / العدد السابع / حزيران ١٩٩٠ تحدث الدكتور صادق عن تأثير تكوين الشخصية في السلوك السياسي أثبت أهمية دراسة الشخصية في مراقبة السلوك السياسي للأفراد كالأنضمام الى الأحزاب أو التصويت في الانتخابات أو أية نشاطات سياسية أخرى. ودلل على ان التغيرات الشخصية يمكن أن تفسر الى حد كبير التباين في السلوك السياسي في ما بين الأفراد وإن كان ذلك السلوك لا يتوقف على العوامل الشخصية فقط وإنما يتوقف على عوامل أجتماعية وثقافية تتحكم هي ايضاً بدورها في التوجه السياسي الأساس للشخص.

ورأى أن الشخصية هي التي تصوغ وتعين اتجاهاتنا السياسية أي وضعنا في المجتمع والمواقف التي نتخذها واهتمامنا بالسياسة أو عدم أكتراثنا بها وكذلك أنتمآتنا الحزبية ونهجنا العقائدي أو مروءتنا في التفكير والتعامل مع الآخرين وهي التي يجري فيها التفاعل الاجتماعي في المجتمع الذي نعيش فيه، وفي الأحزاب أو الحركات السياسية وفضلاً على ذلك ان الشخصية هي الأساس الذي تنشأ عنه الأنحرافات والأرتدادات السياسية.

ويذهب الى أن متغيرات الشخصية لا تفسر وحدها السلوك السياسي للفرد كما لاحظ ذلك بعض العلماء امثال "ميلبراث" و"كلاين" ولأن المساهمة السياسية ليست حالة خاصة ومنفصلة عن النمط العام للمساهمة الأجتماعية.

ويبدو تأثير تغيرات الشخصية على السلوك السياسي في مجالات متعددة منها ادوار القيادة أو الزعامة والأستعدادات النفسية التي تقود الفرد الى الإنضمام في أشكال منحرفة من النشاط السياسي وتبني معتقدات سياسية متطرفة وكذلك الأنفصام بين معتقدات الفرد وقيمه السياسية من جهة وبين

سلوكه من جهة أخرى وبذلك يقرر الدكتور صادق أن معرفة الشخصية ذات فائدة لفهم الطريقة التي يؤدي بها الفرد الأدوار التي تعين له وكذلك في تشخيص إمكاناته في حالات التقدم أو التراجع لغرض تحقيق سياسة معينة وعلى نحو مماثل لذلك.

أثر الطبيعة الإنسانية للشخصية في المعتقدات والأنشطة السياسية:

يرى الدكتور صادق الأسود أنه منذ زمن أقر تأثير الطبيعة الإنسانية للشخصية في المعتقدات والأنشطة السياسية بحيث لم يعد في الوقت الحاضر بد من دراسة تكوين الشخصية لغرض التعرف على تأثيراتها في تكوين السلوك السياسي فهو بذلك يماشي رأي "هاينز بولاو" في أنه هناك إدراك، ولو أنه غامض أو خاطيء وعبر تاريخ التامل السياسي منذ عهد الأغريق حتى يومنا هذا بأن علم السياسة الذي لا يراعي الطبيعة البشرية هو علم سياسة متميز وأول من عني بتأثير الشخصية في المعتقدات السياسية وفي النشاط السياسي هو "أفلاطون" الذي عني بتطوير نمو الشخصية لغرض دعم نظام الحكم القائم. وفي العصر الحديث يعدّ "هارولد لاسول" من أكثر علماء السياسة الذين عنوا بالموضوع المذكور وخاصة في كتابيه (علم الأمراض النفسية والسياسية والسلطة الشخصية)، فقد عرض فيهما أن السلوك السياسي ينجم عن استعدادات نفسية مسبقة لدى الفرد تنعكس على مواقفه واتجاهاته ازاء القضايا العامة في المجتمع ومع ذلك كما تقول "جين كنونسون": "إن جميع السنوات التي أعقبت ظهور كتابات "لاسول" المبكر، واجه الإدعاء بأن الشخصية تتحكم جزئياً في الأقل في المعتقدات السياسية وفي السلوك السياسي تحليلاً نقدياً غير ملائم".

وبصورة عامة لقد تجنبت الدراسات الكثيرة المتعلقة بتأثير الشخصية في تكوين السلوك السياسي بالمهمة الصعبة ألا وهي تفسير الروابط الخاصة التي تؤثر الشخصية بها في السلوك السياسي وتتأثر هي

بالمقابل بالسلوك السياسي وتجريبياً لقد فشلت هذه الدراسات بصورة عامة في بداية استقرار الشخصية أو تماسكها عبر الوقت أو علاقاتها بالأمور السياسية.

ولا ريب في أن دراسة الشخصية تبين كيفية تأثير شخصية الفرد في سلوكه السياسي غير أن دراسة الشخصية عند الدكتور صادق، ليست يسيرة، لأن الشخصية عنده تركيب معقد وهي ذات علاقات متشابكة تكون بمجموعها أنظومة خاصة في العواطف والآمال والإحباطات وخزيناً من التجارب الماضية فضلاً على طاقات غزيرة بعض منها أستنفد أغراضه في الواقع وبعضها الآخر لم يستنفد أغراضه وظل ينطوي على شحنات انفصالية تنعكس على أفعال وردود أفعال الفرد ومن ثم يتعين على عالم النفس أن يكون ذا دربة وخبرة ومستوى علمي عالٍ عندما يعالج التأثيرات النفسية في السلوك السياسي كما أنه مطالب أيضاً بان لا يقتصر على دراسة حالة فردية منعزلة وانما يجري دراساته على حالات عديدة لكي يستنبط القواعد العامة التي تتحكم في السلوك السياسي. وإضافة الى الصعوبات هذه إن ما تنطوي عليه الشخصية من حيوية واندفاع تجعل من الصعوبة اخضاعها الى دراسات دقيقة ومعرفة وكما يقول "ليستر وميلبريك": "إن دينامية الشخصية التي تدفع الى العمل السياسي هي من التعقيد بحيث تتحدى اي ايجاز ...".

العناصر المشتركة في تكوين الشخصية:

هناك عناصر مشتركة ومتماثلة في تكوين الناس الذين يختلفون في ما بينهم من نواح عديدة، وهذه العناصر تكوّن منهم بشراً. ويرى الدكتور صادق أن بوسعنا أن نسمي هذا الحد الأدنى في التماثل بـ(التركيب الكوني للشخصية أو الطبيعة الإنسانية)، وينطوي هذا (التركيب الكوني) على نوعين من العناصر هما: العناصر الحياتية (البيولوجية) المشتركة، وعناصر السمات الطبيعية والسلوكية المقبولة على أساس أنها سوية ومرغوب فيها لدى جميع المجتمعات الإنسانية.

علماء السياسة ودراسة ميول الإنسان:

في جميع الحقب الماضية عني علماء السياسة بدراسة ميول الإنسان لغرضين الأول هو غرض التحكم بالطبيعة والسيطرة عليها الأمر الذي يؤدي الى البحث في موضوع السلطة، أما الغرض الثاني فهو السعي الى إشباع حاجات الإنسان وميوله بالطرائق المعتادة وبغض النظر عن دوافعهم ونوازعهم الشخصية.

يميل الناس الى التصرف بطريقة منتظمة ويمكن التنبؤ بها في السياسة وفي خارجها وترقباتهم بالنسبة الى سلوكهم وسلوك الآخرين مستقرة ومتوافقة نسبياً. وقد يكون بعضهم حي الضمير أكثر من غيره في عمله واكثر حماسة وأكثر اندفاعاً لإرضاء غيره ثم أكثر طموحاً، ولكن بالرغم من وجود هذه الاختلافات الناجمة عن التباينات الشخصية فأن العمليات السياسية والمؤسسات تعمل بطرائق لا علاقة لها بالأختلافات في الشخصية (أنظر السلوك السياسي لـ"هايتز يولا" ص ٩١).

فالجماعات الأجتماعية تبذل جهوداً متواصلة لأجل تحقيق نوع من التجانس بين اعضائها وذلك عن طريق رفع مستوى الشعور بالأنتماء ومن ثم التمسك بأهدافها. أي أنها تسعى الى غرس قيم مشتركة تبعث الى الوجود باتجاهات وسلوكيات متقاربة إن لم تكن متماثلة.

لقد ذهب الدكتور صادق الى أن الهدف والتجربة المشتركة يمكن لهما أن يفرزا انماطاً متماثلة في التفكير والسلوك لدى أفراد الجماعة الأجتماعية وبمرور الوقت تكتسب الجماعة طابعاً جمعياً مشتركاً بين أعضائها يميزها من غيرها من الجماعات الأخرى. وعن الطابع الجمعي والمشترك ينحدر مفهوم (الدور) الذي هو: "وضع أجتماعي يفرض التزامات سلوكية والتزامات في الاتجاه بخاصته ....".

وفي سؤال عن ما أبرز سمات الشخصية التي لها علاقة بنشاط الفرد السياسي ؟

يجيب الدكتور صادق بأن علماء النفس ستطاعوا تعيين عدد من سمات الشخصية التي تؤثر في السلوك السياسي ونشرت بحوث عديدة تناولت موضوع الفعالية السياسية لدى الأفراد وامكن التوصل الى إقرار وجود علاقة بين الشعور الداخلي بالقوة لدى الفرد وبين النشاط السياسي الذي يقوم به،في حين قامت دراسات اخرى بالربط بين نوع من الفعالية وبين الأهلية النفسية التي يملكها الفرد، وبهذا تكون الفعالية أو الأهلية واحدة من سمات الشخصية التي تتعلق بنشاط الفرد السياسي. ومن السمات أيضاً النزعة السلطوية، والتغرب والأستلاب، وحب السلطة والجمود العقائدي. وأما عن علاقة سمة الشخصية في فهم النشاط السياسي والتنبؤ به ؟ فأنه يرى ان العلماء المختصين تناولوا موضوع التغرب والأستلاب هذا الميدان الذي ثبت فيه أن سمة الشخصية ذات فائدة في فهم النشاط السياسي إذ أمكن بلورة وصياغة المفهوم عن ذلك وقياسه بطرائق مختلفة بما في ذلك معنى الشعور بالعجز أو السيطرة الداخلية ــ الخارجية والشعور العام باليأس أو باللاجدوى وذلك بمعنى انهيار شعور الفرد بإرتباطه بالمجتمع او انماط أخرى أكثر تركيزاً من الأستلاب.

التفكير المغلق والتفكير المنفتح:

لقد أستطاع الدكتور صادق الأسود من دراسة صفات الشخصية ذات التفكير المنغلق وأخرى المتصفة بالأنفتاح الفكري ومدى تأثيرها في تحديد نوعية السلوك السياسي. فيرى أن الأشخاص من الذين يقفون في نهاية قطب ذوي التفكير المغلق يختلفون بطرائق سياسية مهمة وعديدة عن أولئك الذين يقفون في نهاية قطب ذوي التفكير المنفتح ويعزو الدكتور صادق ذلك لاسباب منها: إن ذوي التفكير المغلق يتميزون بالقلق ويعانون صعوبة استيعابهم المعلومات الجديدة وتبعاً لذلك فأنهم قد ينبذون المعلومات بكليتها إذا كانت لا تنسجم مع معتقداتهم أو أنهم يعرفونها لكي يستطيعوا ان يتقبلوها.

ويخلص الدكتور صادق الأسود الى ان الجمود العقائدي لا ينحصر لدى الأفراد العاديين فقط بل يتعداه الى الساسة الكبار أيضاً.

وبشأن الاتجاهات التي يعنى بها علم النفس السياسي يحدد الدكتور صادق جوانب من تلك الاتجاهات ومنها:

التماسك، التعبير مع الاتجاهات الأخرى، درجة المعلومات في تكوين الاتجاهات والاسباب التي تقوم عليها، مدى الاتجاهات ونوعيتها، تعميم الاتجاه، صلابة او درجة بقاء الأتجاه، والاتجاه الأيجابي أو السلبي.

عالم السياسة وتاثير الشخصية في السلوك السياسي:

يرى الدكتور صادق أن عالم السياسة اتبع طريقة خاصة تختلف عما اتبعه علماء النفس أو علماء الطب العقلي، فعالِم السياسة لا يسأل عن نتائج السلوك السياسي على شخصية الإنسان، بل يريد أن يعرف نتائج الأختلافات في الشخصية على وظيفة الادوار السياسية وعمل المؤسسات السياسية. ان المعاني الشخصية والدوافع الواعية وغير الواعية التي تبرز مشاركة الإنسان السياسية او تفضيلاته السياسية هي ذات فائدة تحليلية لأن اكتشافها قد يسهم في تفسير النظام السياسي كنظام مسلكي ولا بد من التذكير بأن هذا النظام هو دائماً شبكة سلوك بين الاشخاص، ويستطيع تحليل الأساس الشخصي للسلوك الإنساني ان ينبئنا قبل كل شيء كيف يربط سياسي معين نفسه بالآخرين ؟ وبعبارة أخرى ان أهتمام عالم السياسة ينصب قبل كل شيء على العملية السياسية في جميع مستوياتها، أي النظام السياسي على صعيد المؤسسات وصعيد الأنشطة السياسية فيه وأن ما يتحصل من معلومات عبر دراسة السلوك السياسي للأفراد ينبغي أن ينصب على إغناء دراسة النظام السياسي وسير عمله. ثم يورد الدكتور صادق رأي "هاينز بولاو" في كتابه (فن السلوك السياسي) الذي يقول فيه: "أنه إذا تبين ان النشاط السياسي يخدم شخصاً في التغلب على تقديره المنخفض لنفسه أي يخدمه في إزالة الشعور

بالعزنه و الوحدة عن طريق المشاركة الشخصية أو أن التفصيلات السياسية هي تعبـير عن الثورة على السـلطة او الخضوع لها قـد تكون المعلومات في هذه الحالة ذات قيمة لا تقدر في تقـويم نوعية وبقـاء أي نظام سياسـي وعلى وجه الاجمال قد توضح معرفة الأساس الشخصي للسلوك السياسـي نوع نظام سياسي ومدى تكيفه مع ظروف البيئة ومقدرته على تلبية الحاجات البشرية...".

آثاره العلمية

المطبوعة:

- الرأي العام في النظام الأشتراكي، ترجمة عن الفرنسية، تأليف "جوفان دجو رجفيش" (الاستاذ في كلية القانون في جامعة بلغراد، ونائب رئيس الجمعية الدولية للعلوم السياسية)، صدرت الترجمة في بغداد عام ١٩٧٠، وهي من منشورات قسم السياسة في كلية القانون والسياسة في جامعة بغداد.
- علم الأجتماع السياسي ــ أسسه وأبعاده ــ

ط١، بغداد ١٩٧٣.

ط٢، بغداد ١٩٨٦.

ط٣، بغداد ١٩٩١.

- الديغولية وقضية فلسطين (بحث اعده خلال تفرغه العلمي في جامعة "نيس" الفرنسية) عام ١٩٨١، طبع في بغداد ١٩٨١.
- الدفاع الوطني، ترجمة عن الفرنسية، تأليف "برنارد شابنتو"، (المحاضر في جامعة نيس الفرنسية)، وقد ترجم الى العربية بناء على طلب كلية الدفاع الوطني في جامعة البكر عام ١٩٨٣.
- مدخل الى علم السياسة (بالاشتراك مع الدكتور عبد الرضا الطعان)، الموصل ١٩٨٦.
- الرأي العام والإعلام، بغداد ١٩٩٠.
- الرأي العام ظاهرة أجتماعية وقوة سياسية، بغداد ١٩٩١.
- دراسة حول المتغيرات في المعسكر الأشتراكي وانعكاساتها الدولية (مشترك)، بغداد ١٩٩١.
- القانون الدولي والحرب أو قواعد الحرب في القانون الدولي.

- الثقافة القومية والأشتراكية: المحور الحضاري (مشترك).

من البحوث المنشورة:

- الزعامة الملهمة في العالم الثالث، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، عدد حزيران ١٩٧٣.
- مجالس الشعب ــ الفكرة والتطبيقات، مجلة العدالة، بغداد، العدد الثاني ١٩٧٥.
- الثورة في أفريقيا السوداء وأمن البحر الأحمر، مجلة الحقوقي، بغداد، (١ ــ ٢)، ١٩٧٧.
- ديغول وقضية فلسطين، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، أيلول ١٩٨١.
- سياسة اليابان الدفاعية هل تجعلها قوة كبرى في العالم، مجلة الدفاع الوطني، العدد الثاني، بغداد ١٩٨٤.
- بعض المنطلقات النظرية لمفهوم الدفاع الوطني الحديث، مجلة الدفاع الوطني، العدد الأول ١٩٨٦.
- الجانب السياسي في تسليح اليابان، مجلة المنار، باريس ١٩٨٦.
- تهديدات الأمن القومي العربي في البحر الابيض المتوسط ودور (إسرائيل) فيها، مجلة شؤون عربية، العدد ٤٦، ١٩٨٦. (ترجم البحث الى الإسبانية من قبل الدكتورة "كارمن برافو" استاذة العلوم السياسية في جامعة مدريد سنة ١٩٨٦).
- موقف حكومة فيشي من (حركة) مايس ١٩٤١، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد السابع، ١٩٨٦.
- الأتحاد السوفيتي والوحدة العربية، مجلة المنار، باريس، العدد ١٩، ١٩٨٦.

- المثقف وصنع القرار السياسي، مجلة المنار، باريس العدد ٢٩، ١٩٨٧.
- الترميز السياسي، مجلة العلوم السياسية، بغداد، العدد الأول ١٩٨٨.
- تأثير تكوين الشخصية على السلوك السياسي، مجلة العلوم السياسية، بغداد، حزيران ١٩٩٠.
- السلوك السياسي في البلدان المتقدمة صناعياً.
- "ايراك فروم" ودوافع السلوك السياسي في المجتمعات المتقدمة، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة صدام، العدد الأول ٢٠٠٠.

تراثه المخطوط*:

- علم النفس السياسي.
- قواعد الحرب والقانون الدولي.
- العسكريون والسياسة (نسخة منه في جامعة البكر).
- بسكيولوجيا السلوك السياسي أو الدوافع النفسية للأتجاهات والمواقف السياسية.
- مدرسة التحليل النفسي والسياسة (لم يكمله).
- ديغول والعرب.
- الرأي العام العالمي (رسالة الدكتوراه بالفرنسية ــ لم تطبع ولم تترجم).
- الرأي العام في النظام الرأسمالي (ترجمة عن الفرنسية) من تأليف "اندريه ماتير" (الاستاذ في كلية القانون ومدير معهد الدراسات السياسية في جامعة كرينول في فرنسا).

---

* في مكان آخر من الكتاب فصلنا محتويات عدد من كتبه المخطوطة الآتية.

مسك الختام

تلكم كانت المسيرة... غذذنا الخطى فيها واجفين لتكتحل عيناه بـما كان يسره أن يراه... ولكن القدر كان له بالمرصاد قبل ان يكتمل المشروع...!

كتبنا عنه حياً فأستوت الكلمات في مظان التاريخ... سجلت ما تحدث به أيام التقائنا قبل توديعه هذه الدنيا في الرابع عشر من آذار عام ٢٠٠٢م، فكان ما سجلته، انما هو سجل متكامل لعالِم آثر أن يكون عالماً على أن يكون تاجر علمٍ فاستفاد وافاد، وزرع وحصد، فكان فلذة من فلذات ذاكرة ناصعة البياض، دفاقة النور، تسيل على سفح اعشوشبت عليه خواطر الحامدين. هكذا كان، فرسمناه كما كان، لم نزد ولم ننقص، لم نبالغ ولم نغمط، ولم أضع نفسي امام قارئي الكريم موضع اللوم او الازدراء، لأنه سوف يقرأ (صادق الأسود) كما هو...

إن ما كرّم به هذا العالِم الجليل قد شد من عضد العلم، وحفز السواعد على المثابرة... لقد كانت التفاتة كريمة إذ وضعت العلماء في المواضع التي يستحقونها، لا لسبب إلا لأنهم علماء وحسبهم بهذا لقباً يكرمون من أجله. إنه السبيل الصواب لبعث إبداع العقول والسير على طريق موادعتها للاخذ بيد العراق العظيم وأقطار الوطن العربي الكبير للوصول الى القمة السامقة التي ننشدها، ولا يكون ذلك إلا بالعلم، وتكريم العلماء. وما لنا ونحن نضع هذا الجهد المتواضع إلا أن نحيي توجهات بيت الحكمة العتيد نحو إزهاء مشاعل المعرفة كأمتداد لمساعي بيت الحكمة العباسي الذي مثّل للدنيا اروع صورة للتوجه المعرفي يوم كان العالم يغط في سباته العميق.

رحم الله الأستاذ الدكتور صادق الأسود يوم تألق نجمه في مضمار الحياة، ويوم ضمته مقبرة وادي السلام ميتاً بجسده، حياً بأفكاره وآثاره وذكرياته.... "والله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها" صدق الله العظيم

د. حميد مجيد هدّو

المحتـــوى

الموضوع	رقم الصفحة
المدخل	٥
الفصل الأول محطات السيرة	٧
الفصل الثاني في مرآة زملائه وأصدقائه	٢٧
في ضمائر تلامذته	٣٣
الفصل الثالث المفكر المختص .	٤٥
علم الاجتماع السياسي	٤٧
الرأي العام	٦٠
علم النفس السياسي	٧١
بسكلوجيا السلوك السياسي	٧١
التاريخ وعلم السياسة	٧٢
شيء من التاريخ السياسي	٩٥
ديغول والعرب	٩٥
كيف دافعت اليابان عن نفسها بعد الحرب العالمية الثانية	٩٩
الشخصية والخيارات السياسية	١٠٣
آثاره	١١٠
مسك الختام	١١٣
المحتوى	١١٤

سلسلة علماء بيت الحكمة

تنفيذا لرسالة بيت الحكمة المعاصر في تقدير وتشجيع العلماء، بدأت منذ عام ٢٠٠١ فعالية تكريم الشخصيات العلمية المعروفة بمساهماتها المتميزة في مختلف الاقسام العلمية بمنحهم جائزة بيت الحكمة.

وتوثيقا للسيرة الذاتية وعطاء بيت الحكمة، تصدر هذه السلسلة لتتناول ملفات توثيقية للعلماء الذين منحوا جائزة بيت الحكمة عام ٢٠٠١ على وفق التسلسل الوارد في قرار منح الجائزة وهم:

١. الاستاذ الدكتور سعدون حمادي/ الدراسات الاقتصادية
٢. الاستاذ الدكتور محمد صالح احمد العلي/ الدراسات التاريخية
٣. الاستاذ الدكتور عبد العزيز البسام/ الدراسات الفلسفية
٤. الاستذا الدكتور جميل الملائكة/ دراسات الترجمة
٥. الاستاذ ضياء شيت خطاب/ الدراسات القانونية
٦. الاستاذ الدكتور صادق الاسود/ الدراسات السياسية
٧. الاستاذ الدكتور اكرم نشأت/ الدراسات الاجتماعية
٨. الاستاذ الدكتور محسن عبد الحميد/ الدراسات الاسلامية

وسيتابع بيت الحكمة نشر هذه السلسلة لتوثيق السيرة الذاتية وعطاء العلماء الذين يمنحون سنويا جائزة بيت الحكمة.

- بيت الحكمة/جمهورية العراق- بغداد
- هاتف: ٤١٤١٢٠١-٤١٤١٢٠٣ - فاكس ٨٨٦٣٠١٥ ص.ب ٥٦٤٠-٢
- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٧٦ لسنة ٢٠٠٢
- مطبعة الميزان - هاتف: ٨١٧٩٨٣٩